كتاب، جواهر العقود في نسب سيدي شبل الأسود الإمام محمد بن الفضل بن العباس بن عبدالمطلب عليهم سلام الله، لكاتبه الشيخ إسماعيل بن علي بن جاد بن الغزالي البتانوني الشافعي الأحمدي، عام١٢٨٧ هجرية، الموافق العام ١٨٧٣ ميلادية.
ونسخها الشيخ عثمان بن محمود بن أبي جمالة الشافعي الأحمدي البنداري من ناحية شمياطس- الشهداء- منوفية، يوم الاثنين، التاسع من شعبان ١٣٧٣هجرية الموافق ١٩٥٤ ميلادية من مخطوطة علقام البحيرة.

<u>مقدمة المحرر.</u>
أما قبل...
فقد سلمني شيخي الشيخ محمود الصعيدي؛ شيخ الطريقة الأحمدية البندارية المباركة، مخطوطة قديمة منسوخة بخط اليد، يرجع تاريخ نسخها للعام١٩٥٣-١٩٥٤ميلادية وكان الناسخ الشيخ عثمان محمود أبو جمالة، نسخها من مخطوطة أخرى بقرية علقام-البحيرة.
مكون من أربعة كراريس، تقع في نحو تسعين صفحة منسوخة بالقلم الحبر الأزرق بخط بديع واضح، وحالة المخطوط متوسطة المتانة والقوة.
وكان الأستاذ محمد حماد الباحث المجتهد الجاد في تاريخ مركز الشهداء، أخبرني عن نسخة مخطوطة أخرى للكتاب يرجع تاريخ كتابتها للعام ١٣٣٢هجرية، الموافق للعام ١٩١٣ميلادية بخط فضيلة المرحوم الشيخ عبدالرزاق مصطفى الصباغ السلاموني، بسلامون قبلي-منوفية.
ثم تفضل علي فسلمني دراسة عن منطقة الشهداء للدكتور محمد عبدالستار عتمان عميد كلية الآثار- جامعة القاهرة اعتمد فيها على مخطوطة الغزالي البتانوني التي نسخها الشيخ عبد الرازق مصطفى الصباغ السلاموني سنة ١٣٣٢ هجرية، ١٩١٣ميلادية، فاستخدمتها لمقارنة ما ورد فيها من صور ضوئية لمخطوط الصباغ، ووجدت تطابقا تاما بين النصوص مما يدل على كون المصدر واحد على اختلاف مكان وزمان المخطوطتين ...
والغريب أن"جواهر العقود" مازالت في كل نسخها المعروفة مجرد مخطوطة يملكها نفر محدود للغاية، رغم كونها المصدر الأساس لكل من دون عن سيدي الإمام محمد بن الفضل شبل الأسود، أو كتب عن تاريخ الشهداء الخاص بتلك الحقبة التاريخية الممتدة من٩هجرية إلى ٤٠هجرية تاريخ استشهاد الإمام. وكان كل ما رجوته طباعتها كاملة بين دفتي كتاب مطبوع طباعة حديثة، خوفا على تلك المخطوطة من الاندثار.

<u>آراء تاريخية</u>

وفيما يلي وجهات نظر تاريخية تتعلق بتاريخ مجئ الإمام لمصر، ويبدو أن الاطلاع على مخطوطة جواهر العقود يمثل نقطة فارقة في توجيه نظر الباحث لوجهة تاريخية دون الأخرى، استخلصت معظمها من كتاب الأستاذ الدكتور محمد عبدالستار عتمان الذي مثلت له المخطوطة دورا هاما في تبني وجهة نظر تاريخية ثابتة، وموثقة توثيقا يعتمد على المخطوطة سالفة الذكر(مخطوطة الصباغ).

وكان رأي الدكتورة سعاد ماهر بموسوعتها التاريخية"مساجد مصر، وأوليائها الصالحين" تكاد تجزم أن الإمام قد استشهد في الصراع الزبيري الأموي حيث كان قائدا لجيوش عبد الله بن الزبير لانتزاع مصر من قبضة الدولة الأموية، وكان تاريخ استشهاده بالعام ٦٥ هجرية، بعد تولية أول وآخر والي زبيري على مصر، وهو عبدالرحمن بن جحدر المذحجي. إلا أن رواية الدكتورة سعاد تتناقض مع تاريخ استشهاد الإمام المعتمدة بالعام ٤٠هجرية، فيكون المرجح رواية "جواهر العقود" حيث استشهد في مرحلة الفتح الثاني لمصر بعد ارتداد الرومان في ظل اضطرابات السياسة بنهايات حقبة حكم الخليفة عثمان بن عفان باستشهاده، وبدايات تجدد الصراع العلوي الأموي، بمبايعة أمير المؤمنين الكرار سيدنا علي ابن أبي طالب ٣٥هجرية، وموقف سيدنا معاوية بن أبي سفيان.

ويرى الباحث سعيد الجرواني أن الإمام محمد بن الفضل وُلِدَ سنة ٣ هجرية، وَاسْتَشْهَد عام ٢٥ هجرية، على اعتبار أنه شارك في الجيش الإسلامي تحت قيادة سيدنا عمرٍو بن العاص، الذي قاوم هجمة الإمبراطور البيزنطي، واستيلاء قائده مانويل على الإسكندرية، وملاقاته لجيش عمرٍو بن العاص عند نقيوس(حاليا هي إبشادي من إحدى قرى مركز الشهداء-منوفية (حسب عتمان وفريقه الأثري)...إلا أن الدكتور محمد عتمان يفند هذا الرأي بقوله 《وهذه المعلومات وغيرها، وبخاصة ما يتعلق بمعارك محمد بن الفضل يسردها الباحث(سعيد الجرواني) دون توثيق، ويغلب على سرده الخيال، ويتأكد ذلك مما ورد في المصادر التاريخية التي تحدثت عن أحداث فتح مصر الأول والثاني، والتي لم يرد فيها أي إشارة من قريب أو بعيد لسرسنا، وحصنيها، والبلاد التي خاض محمد بن الفضل معاركه فيها، وبخاصة في منطقة الشهداء، كما يتضح من مراجعة الروايات التاريخية أن الباحث يخلط بين موقعة نقيوس، وموقعة سرسنا التي استشهد فيها محمد بن الفضل، وبعض من أمرائه وجنده. كما أن مراجعة ما كتبه عن نقيوس، وتحديده لموضعها بزاوية رزين-حسب ما انتهى إليه- يوجد نوعا من التضارب في عرضه للأحداث》 "صفحات جديدة من تاريخ الشهداء"

ويرى الأستاذ محمد خالد في بحثه لنيل درجة الماجستير بعنوان الشهداء وسيدي شبل، (مخطوط لم يُنْشَر. ١٩٨٢ص١١٧-١٢٥) أن رأي استشهاد الإمام محمد بن الفضل سنة ٢٥ هجرية/٦٤٦ ميلادية هو أقرب الآراء إلى الدقة مستندا لرواية الطبري، والتي نقلها

عن الساعي، والتي يشير فيها إلى أن ﴿محمد بن الفضل كان على رأس إحدى الفصائل وقت دخول عمرو بن العاص مصر، وعسكر في هذه المنطقة المعروفة بالشهداء"يعلق الدكتور محمد عبدالستار عتمان في كتابه سالف الذكر أنه لم يعثر في تاريخ الطبري على هذه الرواية، ولا يعرف من أين أتى بها الباحث!!"

ويخلص الأستاذ محمد خالد إلى أنه لا يوجد أي مرجع تاريخي يسجل معارك دارت على أرض الشهداء سوى موقعتي نقيوس(الفتح الأول، والثاني) اللهم إلا المعارك التي حدثت بين الزبيريين، والأمويين مرجحا رأي الدكتورة سعاد ماهر.

ويرى الدكتور محمد عبدالستار عتمان أن وجود الإمام محمد بن الفضل في مصر في عهد عمرٍو، عند دخوله إليها على رأس إحدى الفصائل التي عسكرت في منطقة الشهداء الحالية، رواية -إن صح ورودها- يمكن وضعها في الإطار التاريخي الصحيح الذي يتفق وتولية عمرٍو لمصر في ولايته الثانية، والتي بدأت سنة ٣٨هجرية-٦٥٨ميلادية، وانتهت بموته سنة ٤٣هجرية-٦٦٣ميلادية، ففي هذه الفترة بالذات (من سنة ٣٨-٤٠ هجرية) كان محمد بن الفضل على رأس جيش يعسكر بالفعل في منطقة الشهداء، ويتابع فتوحاته للبلاد المجاورة لسرسنا.

ويرى المؤرخ، والأديب جورجي زيدان بكتابه (تاريخ مصر، ونقلت عنه وزارة الأوقاف سنة ١٩٢٧) ﴿أن الإمام محمد بن الفضل كان قائدا لأحد الجيوش العربية التي أتت إلى مصر في فترة تمرد معاوية ضد خلافة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لمقاومة اليهود والرومان الذين قويت شوكتهم في هذه الفترة، وخاض معارك عدة، وانتصر فيها، منها موقعة المرج ثم اتجه إلى قليوب ثم سار مع فرع النيل الغربي(رشيد) حتى نادر، ومنها إلى حصن نقيوس(إبشادي)، ودارت معركة نقيوس وَجُرِح، الإمام في ساقه، ومات، وَدُفِن على سطح الحصن سنة٤٧ هجرية/ ٦٦٧ ميلادية، وَدُفِن معه من استشهد من أصحابه، وأقام الأهالي بيوتهم حول الضريح، وسميت البلدة بالشهداء منذ ذلك التاريخ﴾

ويفند الدكتور محمد عتمان هذه الرأي بالآتي، فخط سير جيش الإمام يتفق مع ما ورد في بعض المخطوطات، لكنه يخالف الحقيقة في الإشارة إلى أن جيش محمد بن الفضل أتى في فترة موقف سيدنا معاوية ضد أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، والتي قويت فيها شوكة الرومان واليهود بمصر فاستدعى ذلك قدوم جيش محمد بن الفضل. والحقيقة أن فترة تمرد معاوية لم يستمر انعكاسها طويلا على مصر، فقد ولى معاويةُ عمرًا ابْنَ العاص، وكلفه بالقضاء على محمد ابن أبي بكر والي سيدنا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وتم ذلك لابن العاص عام ٣٨ هجرية/٦٥٨ ميلادية، وبدأت ولاية ابن العاص الثانية والتي استمرت خمس سنوات(٣٨-٤٣هجرية)، وتميزت تلك الفترة بالهدوء، والطمأنينة بالنسبة للأقباط فقد أطلق لهم عمرٌو حرية الدين، وأقام العدل، وقسم البلاد إلى كور، وعين على كل منها قاض قبطي يفصل في النزاعات الدينية، والمدنية

لغير المسلمين وفق شرائعهم، ونظم الخراج، وراعى في جبايته حالة النيل والأرض، وهذا يعني أن أحداث الفتنة، ومردوداتها كانت قد انتهت من مصر في هذه الفترة.
كذلك فإن ما أورده جورجي زيدان عن قوة شوكة اليهود، والرومان في مصر في هذه الفترة لا يوجد له أي سند تاريخي حيث أن الرومان لم تكن لهم سيطرة، أو تأثير واضح بمصر في تلك الفترة وكذلك اليهود، وهو أمر ينتفي معه مبرر محاربة محمد بن الفضل، وجيشه لهم في معركة يزعم جورجي زيدان استشهاد محمد بن الفضل فيها سنة ٤٧ هجرية/٦٦٧ميلادية.
وما يكشف عن مدى الخلط الذي وقع فيه جورجي زيدان ما يذكره من أنه دفن على سطح حصن نقيوس، والثابت تاريخيا، وأثريا أنه دفن على تل يقع جنوب حصن سرسنا في موقع يبعد عن نقيوس(ابشادي) حوالي سبع كيلومترات.
وإذا كانت الآراء السابقة ترى مشاركة محمد بن الفضل في أحداث مصر كانت ضمن أحداث الفتح الثاني التي وقعت نهاية سنة ٢٥هجرية/ ٦٤٦ميلادية، أو سنة ٢٦هجرية/ ٦٤٧ميلادية، أو في معركة وقعت سنة ٤٧هجرية/٦٦٧ ميلادية فإن هناك من يرى أن هذه المشاركة كانت ضمن أحداث الصراع الذي حدث بين أنصار عبد الله بن الزبير، وبين جنود مروان بن الحكم سنة ٦٤هجرية/٦٨٣ميلادية، ومن ثم يرى أصحاب هذا الرأي أن استشهاد محمد بن الفضل كان سنة٦٥هجرية\ ٦٨٤ ميلادية، وأنكر أصحاب هذا الرأي ما يتردد أن مُحَمَّدًا بن الفضل شارك في أحداث فتح مصر ٢١هجرية/٦٤٢ميلادية، لأنه حسب ثبوت تاريخ مولده سنة٩هجرية/٦٣٠ميلادية، يكون سنة في هذا التاريخ إثني عشر عاما، وبذلك يستبعد حضوره وهو في هذا السن مع جيوش الفتح، كما يستبعدون الرواية التي تردد أنه حضر مصر وقت الفتنة التي أعقبت استشهاد عثمان بناء على أنهم لم يجدوا ذكرا لحوادث وقعت في منطقة المنوفية بسببها على الإطلاق، وبذلك يستبعدون حضوره في ذلك الوقت"سعاد ماهر"مساجد مصر"
يقول الدكتور محمد عتمان ﴿ وواضح من خلال عرض هذا الرأي أن صاحبه لم يتوفر على قراءة مخطوط "جواهر العقود في نسبة سيدي شبل الأسود" للغزالي، وأنه اعتمد ما ذكره محمد رمزي في قاموسه الجغرافي دون تمحيص، حيث يذكر محمد رمزي"صاحب القاموس الجغرافي" ﴿أن السبب في تسمية القرية التي بها ضريح محمد بن الفضل بالشهداء يرجع إلى أنه في القرن الأول الهجري، كانت مصر تحت حكم الدولة الأموية، ولما مات يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وابنه معاوية الثاني دعا عبد الله بن الزبير لنفسه بالخلافة، فقام أنصاره بمصر، وأظهروا دعوته، فأرسل إليهم عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم واليا عليهم سنة ٦٤هجرية/٦٨٣ميلادية، ولما(بُويِع) مروان بالخلافة، سار بنفسه إلى مصر، وحارب خصومه في عدة مواقع من بينها موضع

بالمنوفية وانتهت المعركة سنة ٦٥هجرية/٦٨٤ميلادية، ودفن أنصار الزبير قتلاهم في ذلك الموضع قرب سرسنا وعرفت بمقابر الشهداء.》
وبفحص هذه الرواية-حسب عتمان- تبين أن محمد رمزي اعتمد فيها على ما ذكره ياقوت الحموي، ولم يستطع أن يحدد أن مقابر الشهداء، الواردة في روايته تقع بالقرب من قبر عز الدين بن عبد السلام بقرافة المقطم، وأنها كانت لشهداء استشهدوا أثناء فتح مصر بواسطة عمرو بن العاص وليس في التاريخ المذكور...
ويجدر بنا ذكر نص ياقوت عن مقابر الشهداء التي أشار إليها رمزي 《لما مات يزيد بن معاوية، وتولى مروان بن الحكم الخلافة، واستقام أمره بالشام، فقد قصد مصر في جنوده، وكان أهل مصر زبيرية، فأوقع بأهلها، وجرت حروب، قل فيها بينهم القتلى، فدفن المصريون قتلاهم، في هذا الموضع وسموه مقابر الشهداء، وغلب عليها الاسم إلى هذه الغاية، وكان قتلى المصريين ستمائة قتيلا، وقتل من الشاميين ثمانمائة سنة ٦٥ هجرية/٦٨٤ميلادية》 ياقوت الحموي:معجم البلدان.ج٥.ص١٦٣.ط.بيروت.١٩٨٠.
《وقد شجعت هذه الظروف-كما أشرنا- الإمبراطور البيزنطي قسطنطين، لمهاجمة الاسكندرية، والاستيلاء عليها، وتصدى له الجيش العربي(...)، ونجح هذا الجيش في هزيمة مانويل عند "نقيوس"》 وهي (قرية إبشادي، من أعمال الشهداء-منوفية، كما أثبت الأثريون، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور محمد عبد الستار عتمان عميد كلية أثار القاهرة، في كتابة صفحات من تاريخ الشهداء)،ثم استعادة الاسكندرية ٢٦ هجرية/ ٦٦٥ميلادية.
<u>خلاصة رأي الأستاذ الدكتور محمد عبدالستار عتمان برواية جواهر العقود.</u>
《وفي رواية الغزالي ما يشير إلى أن جيش الإمام محمد بن الفضل تحرك من المدينة إلى مصر في ربيع الأول سنة ٦٥٢م/ ٣٢هجرية أي في الفترة التي كانت فيها أحداث الفتنة ضد الخليفة عثمان بن عفان في ذروتها، والتي انشغل فيها والي مصر، وعربها بأحداثها، وهي الفترة التي ازداد فيها على كاهل المصريين الأعباء الاقتصادية ممثلة فيما كان يُؤْخَذ منهم من خراج، وطالت مدة رضوخهم لذلك العبء الاقتصادي طوال فترة تولي عبد الله بن أبي السرح ولاية مصر في عهد الخليفة عثمان من سنة ٢٥ هجرية/٦٤٦م إلى سنة ٣٦هجرية/ ٦٥٦م وكان من نتيجة ما حدث من انتفاضات الأقباط، واتصالهم بالإمبراطور البيزنطي، وتشجيعه على الاستيلاء على مدينة الإسكندرية لضعف حاميتها، فتحرك للسيطرة عليها، ونجح ثم اتجه إلى الجنوب، ووصل إلى نقيوس فقابلته جيوش المسلمين بقيادة عمرو الذي استدعاه الخليفة لمواجهة جيش الروم.
ومع توالي الأحداث، وانشغال الخلافة بأحداث الصراع تهيأت الظروف لانتفاض القبط ضد السلطة الإسلامية وسياستها، وتردت الأمور أكثر وأكثر فكان الارتداد، وكان الضغط على من أسلم ليرتد، وهو ما تحرك لأجله جيش الإمام محمد بن الفضل الذي أتى إلى مصر

ليقضي على حركة الارتداد، ويدعم السلطة العربية، وينهي أي ضغوط على من أسلم ليرتد عن دين الإسلام.
ولما كان حال الخلافة هكذا فإن تقدم جيش عربي إسلامي صوب مصر للقيام بهذه المهام الجليلة، دون أن يسند المؤرخون أمر توجيه هذا الجيش إلى مصر إلى الخليفة ليس بمستغرب. كما أنه ليس باستطاعتنا أن ننكر رواية الغزالي التي تشير إلى أن البدء في تحرك الجيش كان من الحبشة وزاد مدد الجيش من الجزيرة عند مروره بالمدينة، وكان التوجه بعد ذلك لمصر. وكان ذلك بعد شيوع حركة الارتداد في مصر؛ وهي حركة للمسلمين جميعا أن يقاوموها سواء في إطار رسمي، أو في أي إطار آخر منظم، كما حدث في تحرك جيش الإمام محمد.
ولما كانت نهاية الخليفة عثمان، وأحداث الفتنة في عهده تنتهي بقتله في ذي الحجة ٣٥ هجرية/ ٦٥٥م، فإن جيش الإمام محمد بن الفضل ظل يتابع نشاطه في مصر بعد ذلك لمدة أربع سنوات وثلاث شهور ونصف تقريبا، حتى استشهاده في ربيع الأول سنة ٤٠ هجرية/ ٦٦٠م.
وفي هذه الأثناء وبعد مقتل عثمان انكمش مناصروه على أنفسهم، وعرفوا بالعثمانية والتف حولهم نفر من عرب مصر، وثبتوا لخصومهم رغم ما بذله محمد بن حذيفة والي مصر من جهود، ثم أقبل معاوية بنفسه، والتقى بهم في سلمنت من كورة عين شمس سنة ٣٦هجرية/ ٦٥٦م واحتال على محمد بن حذيفة حتى تخلص منه، فَوُلِيَ على مصر قيس بن سعد بن عبادة فدخلها سنة٣٧هجرية/ ٦٥٧م، ولكن معاوية وعمرو عرفوا كيف يوقعان بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فعزله، وولى مصر الأشتر بن مالك بن الحارث فدبر معاوية اغتياله، فولى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب مُحَمَّدًا بن أبي بكر فلم يستطع الثبات لأنه كان قليل التدبير فلم يلبث عمرو بن العاص أن انتصر عليه، واستعاد مصر تحت حكم معاوية سنة ٣٨هجرية/ ٦٥٨م، أي قبل استشهاد أمير المؤمنين سيدنا الإمام علي بن أبي طالب بسنتين.
ومحمد بن أبي بكر هذا، تولى مصر سنة ٣٨هجرية/ ٦٥٨م وهو الذي أشار إليه الغزالي في روايته عندما ذكر أن الأمور وصلت ذروتها من السوء في مصر بعد قتله.
والمعروف أنه تولى الحكم في مصر سنة ٣٨هجرية، أي في الفترة التي كان فيها جيش محمد بن الفضل في مقر تمركزه بسرسنا يقاوم حركة الارتداد، وضغوط انتفاضة مصر ووجوه رجالهم.
وتولى، من بعد مقتل مُحَمَّدٍ بن أبي بكر، عمرٌو بن العاص ولايته الثانية التي امتدت من سنة ٣٨هجرية، حتى ليلة عيد الفطر سنة ٤٣ هجرية/ ٦٦٣ميلادية بوفاته.
وهكذا عاصر جيش مُحَمَّدٍ بن الفضل عمرًا بن العاص في فترة ولايته الثانية، وفي إطار هذه المعاصرة يمكن تفسير رواية الطبري التي تذكر أن عمرًا دخل مصر، وكان محمد بن

الفضل على رأس جيش يعسكر في المنطقة التي عرفت بالشهداء بعد ذلك. فعندما تولى عمرٌو ولايته الثانية كان مُحَمَّدٌ بن الفضل، كما تشير رواية الغزالي، في سرسنا مركز جيشه مواصلا جهاده.

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن ولاية عمرٍو الثانية على مصر استمرت زهاء خمس سنوات حيث ولاه سيدنا معاوية ولاية مطلقة، وجعل مصر لابن العاص طعمة بعد النفقة على جندها، وما تحتاج إليه من ضروب الإصلاح، وما بقي فهو لعمرٍو بن العاص، وكان عمرٌو يشرف على القضاء، والخراج، والجند، والشرطة، فنظم القضاء، ونظم القضاء، وطبق أحكام الشريعة الإسلامية، وقسم البلاد إلى كور، وأقام على كل منها قاضيا قبطيا يفصل في النزاع الديني، والمدني لغير المسلمين وفق شرائعهم، ونظم الخراج وكان يأتي من ناحيتين؛ الأولى الضريبة الشخصية وهي ضريبة الرؤوس التي فرضت على أهل الذمة، والثانية ضريبة الأطيان، وقد راعى عمرٌو في جبايتها حالة النيل من حيث الزيادة والنقصان، وأقام العدل فتمتعوا بالهدوء والطمأنينة.

ومما سبق يتضح الإطار التاريخي الذي يمكن أن تكون رواية الغزالي استندت إليها؛ تلك الرواية التي ذكرتها مصادر مخطوطة أقدم كمخطوطة شيخ الطريقة عبد الباري العشماوي التي ألفها سنة ١٢٢٠هجرية-١٨٥٠م

وهكذا تتضح صورة محمد بن الفضل في أحداث مصر التي نتجت عن أحداث الفتنة ﴾ .

انتهى كلامه.

ولكن كيف يُبْقِي عمرٌو بن العاص على وجود جيش الإمام مُحَمَّدٍ بن الفضل على ما هو عليه من ولاء سياسي مخالف، ليستمر بقائه عامين كاملين من ٣٨هجرية إلى ٤٠ هجرية عام استشهاد الإمام، وجيش الإمام حسب رؤية الدكتور عتمان وفريقه كان مبعوثا من قبل أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب، ومصر قد وقعت فعليا في حوزة حكم معاوية في العام ٣٨هجرية، هل غلب عمرٌو المصلحة العامة على الانتماء السياسي؟، وهو متوقع على ما كان عليه من حكمة، وحنكة سياسية، كانت ولا زالت مضربا للأمثال، أم هل تغاضى الإمام سيدنا مُحَمَّدٌ بن الفضل شبل الأسود عن الولاء السياسي في سبيل المصلحة العامة، وإنهاء حالة الفوضى؟! وهو ما يتفق، ويوافق ورع وتقى آل بيت سيدنا النبي الأمي عليهم جميعا الصلاة والسلام.

وعليه فكل الآراء التاريخية عليها من المآخذ ما عليها لتبقَ الحقيقة الصرفة مجهولة مشوشة كأغلب أحداث التاريخ قاطبة.

وليستشهد الإمام سيدي شبل الأسود محمد بن الفضل، بعد تغلبه على حركات الارتداد، وتوحيد تلك الإمارات، والكانتونات اللامركزية-ربما لأول مرة بتاريخ مصر المركزية منذ نشأتها السياسية-، تحت مركزية الحكم العربي، والتي استولي عليها أكابر وأمراء الأقباط بعد نكوصهم، وارتدادهم عن الإسلام، في مفارقة تاريخية شديدة الغرابة، في ذات العام

الذي استشهد فيه ابن عمه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب بشهر رمضان عام ٤٠ هجرية!!.

نبذة عن كنى سيدي الفضل بن العباس بن أبي طالب بن عبد المطلب رضي الله عنهم

ذكر ابن عبد البر، أن الفضل كان يُكَنَّى بأبي عبد الله، وأبي محمد.
وكذا ابن الأثير في كتابه"أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وكذا النووي في كتابه"تهذيب الأسماء..." أن الفضل كان يكنى بأبي محمد وقيل بأبي العباس.
وأورد ابن حجر العسقلاني في كتابه"تمييز الصحابة" 《وكان يُكَنَّى أبا عباس، وأبا عبدالله، ويقال كنيته أبو محمد...》 وبذلك جزم ابن السكن في كتابه "الصحابة".
وعليه فللفضل أبي محمد من الأبناء ،غير محمد شبل الأسود، العباس، وعبدالله.
أثر تاريخي دامغ بقرافة القاهرة.
تؤكد رواية ابن قتيبة رواية أخرى لابن الزيات، نقلها عنه أيضا السخاوي تشير إلى قبر يقع خلف قبر كلثم(هي كلثم بنت الطيب بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب،(ابن الزيات. الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة)، بالقرافة بمقطم القاهرة لواحد من ذرية محمد بن الفضل المشار إليه، فقد ذكر ابن الزيات أن هذا القبر للسيد الشريف أبي عبد الله بن محمد بن محمد بن أبي القاسم عبدالرحمن ابن محمد بن الفضل بن العباس الهاشمي توفي سنة ٦٩٥ هجرية / ١٢٩٦ميلادية، وهذه الرواية تفيد أن سيدي محمد بن الفضل شبل الأسود تزوج، أو تسرى، وأنجب ،فلا رهبانية في الإسلام، وتواصلت ذريته حتى عام ١٢٩٦ ميلادية على الأقل، والذي كان منها هذا الشريف الذي حدد كل من ابن الزيات، والسخاوي، والسكري موضع قبره خلف قبر كلثم في منطقة من القرافة تضم كوكبة آل البيت ومشاهدهم الشريفة.
الزيات ص٩٦.
السخاوي ص ٣١٢ علي بن جوهر-الكواكب السيارة إلى قبور الأبرار..تحقيق ودراسة ونشر د.محمد عبدالستار عتمان.
ثم ألا يعد ما توارثته الأجيال من سيرة الإمام البطل الشهيد بمثابة دليل دامغ على وجوده الشريف، وأثره الكبير الذي لا ينكر، ألا يعد تواترا، فإن اشترط الأصوليون حد التواتر بثلاث رواة كحد أدنى، فما بالك بالآلاف يتناقلونه عن آلاف.
ولعل نشأة الإمام على أطراف الدولة الإسلامية المترامية وقتئذ، وبعده عن عاصمتها المدينة المنورة، حيث نشأ وشب في بلاد الحبشة، سببا في تغافل بعض كتاب السير عن

شخصه الكريم، خاصة، وأن عصر التدوين التاريخي وغيره بدأ بعد القرن الأول الهجري على أكثر تقدير؛ وعلى أية حال ففيما ذكرناه من قامات ذكرته الكفاية.
وإنك ،بعد ذلك، إن أتيت بألف دليل عن وجود الشمس لأرمد ما وسعه الدليل، وما كفاه والحمد لله رب العالمين.

وكلنا رجاء بفضل الله أن تتحول مخطوطة الكتاب إلى كتاب مطبوع حديث، محقق.
وبحساب الأزمان، وتاريخ المخطوطتين تبين أن تاريخ وفاة مؤلفها يرجع إلى العام ١٨٧٥ميلادية والله تعالى أعلم.
ومن ثم فهي دعوة لكل من يملك معلومات أو مخطوطات أن يمدنا بمزيد معلومات، وله الشكر والفضل.

<u>نظرة عامة</u>

الكتاب"جواهر العقود في نسبة سيدي محمد شبل الأسود " لصاحبه الشيخ إسماعيل البتانوني" عن قصة حياة الإمام العلوي محمد بن الفضل بن العباس عليه السلام، الشهير بسيدي شبل الأسود الكائن مسجده، وضريحه العامر المبارك بالشهداء من أعمال المنوفية. والكتاب يعد من المراجع الأساسية لحياة الإمام.
انفرد الكتاب بأخبار خاصة جدا تحتاج لكثير من التحقيق، والتمحيص التاريخي.
غير أن نفس السرد يشبه السير الشعبية كالسيرة الهلالية وغيرها، فهو أقرب إلى العمل الإبداعي منه إلى العمل التاريخي المتخصص، خاصة بالجزء الأول المتعلق بنشأة الإمام، قبل سير المعارك بمقدمه مصر، ويتشابه أسلوبة مع ما ساد من كتابات تاريخية وكان تاريخ الجبرتي"عجائب الآثار في التراجم والأخبار" الأقرب منه زمنا وأسلوبا.

<u>ملحوظة هامة:</u>

انتهى الكراس الثالث نهاية مبتورة غير مكتملة لحيلة الملعونة شوها الماكرة، وكذلك كانت ذات البداية المبتورة ببداية الكراس الرابع، فأكملت الفجوات، بما نقلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الستار عتمان من مخطوطة الصباغ ١٩١٣، وهي أحداث استشهاد الأمير مقبل بمعركة محط الصفى، ومعركة حلوان، وكذلك معركة العريش.
ولم أفلح في العثور على أية معلومات عن المؤلف غير اسمه، ومذهبه، وطريقته، وموطنه، المذكورة في مقدمة المخطوطة، وهو إسماعيل بن علي بن جاد بن الغزالي البتانوني الشافعي الأحمدي.
والله ولي التوفيق.
مصطلحات مسافة وردت بالمخطوطة :

١- الفَرْسَخ وجمعه فَرَاسِخ من مقاييس المسافة قديمًا. وأصل الكلمة فارسية معربة من «پرسنگ» أو «پارسنگ».
تجمع أغلب المراجع على أن الفرسخ يعادل ما بين أربعة وستة كيلومترات في النظام الدولي الحالي. فقد أورد ابن منظور في لسان العرب:
«الفَرْسَخُ: السكون؛ وقالت الكلابية: فراسخ الليل والنهار ساعاتهما وأَوقاتهما؛ وقال خالدَ ابن جنبة: هؤلاء قوم لا يعرفون مواقيت الدهر وفراسخ الأَيام؛ قال: حيث يأْخذ الليل من النهار، والفرسخ من المسافة المعلومة في الأَرض مأْخوذ منه. والفرسخ ثلاثة أَميال أَو ستة، سمي بذلك لأَن صاحبه إِذا مشى قعد واستراح من ذلك كأَنه سكن، وهو واحد الفراسخ؛ فارسي معرب.»
٢-المَرْحَلَة: هي وحدة قيس مسافات عربية قديمة، تعادل المسافة التي يقطعها المسافر في يومٍ سيرًا على الأقدام، أو على الدواب سيرا معتادا. والجمع مراحل.

٣- مقدار الرحلة: تقدر الرحلة ب 24 ميلا

عند الحنفية والمالكية: 44.520كيلومتر.
وعند الحنابلة والشافعية 89.04كيلومتر.

تحرير
محمد فرحات.
الشهداء-منوفية.
أكتوبر ٢٠١٩.

جواهر العقود في نسبة سيدي محمد شبل الأسود.
للشيخ إسماعيل بن علي بن جاد بن الغزالي البتانوني الشافعي الأحمدي. (المنتقل لجوار ربه في العام ١٨٧٥ ميلادية تقريبا)
عن مخطوط نقله الشيخ عثمان بن محمود بن محمد بن أبي جمالة البنداري الأحمدي.
بتاريخ ٩ رجب الفرد ١٣٧٣ هجرية الموافق ١٣ مارس ١٩٥٤ ميلادية.

<u>مقدمة المؤلف رضي الله عنه.</u>
الحمد لله الذي هدى بفضله من شاء، وأضل بعدله من شاء من المخلوقات، وفضل المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، ونبه على ذلك الفضل في كتابه العزيز فنالوا بذلك أعلى المقامات.

أحمده حمد من جاهد في سبيله حق جهاده، وأشكره على نعمه الفاخرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له؛ رب البريات، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله صاحب المعجزات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم من المسلمين والمسلمات.

وبعد...؛

فيقول أفقر العباد إلى مولاه العظيم إسماعيل جاد الغزالي البتانوني الشافعي الأحمدي أمنه الله مما يخاف، ومحا عنه ذميم الأوصاف.

إنه لما كنت ولعا بمحبة الصالحين والمجاهدين في سبيل الله حق جهاده ومُولَعًا بكلامهم وحكاياتهم في الكتب النفيسات الجياد، خصوصا زين أهل الجهاد المهدي إلى طريق الرشاد من برد الله مضجعه فسيح سحائب الغفران، ومتعه بالنظر إلى وجهه في أعلى فراديس الجنان، من إليه الأولياء والشهداء ينتسبون، وبإضافتهم إليه يتشرفون أستاذ العارفين، وإنسان عين الواصلين سيدي، وأستاذي، وقدوتي، وملاذي الإمام سيدي محمد شبل بن الإمام الفضل بن العباس؛ عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، دعاني داعي حبه، والتعلق بذكره أن أجمع مختصرا في فضله وكرامته، وحسن شمائله، وغزواته، وأن أذكر أصل تزويج والده الفضل رضي الله عنه بأمه السيدة مأمونة.

وما حملني على ذلك إلا مزيد الشوق إلى ذلك الإمام، والله أعلم بما في الضمير من المرام، وقد قال عز من قائل ﴿وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في...﴾ فلما شُرِح صدري لذلك والله أعلم بما هنالك، شرعت في تحصيل ما رمته في فضل قطب الوجود، وإنسان عين كل موجود صاحب الحسب، والنسب المحمود سيدي محمد شبل الأسود من عاش على غاية من الستر، والجمال، والعز والهيبة، والجلال.

وقاسى الشدائد في مجاهدة المنافقين والكفار، وانتصب لنصرة دين رب العالمين حتى محى الشرك والضلال، وهو مؤيد بالعز، والإقبال على كل مُعْتَدٍ، وضال إلى أن دُرِج في الأكفان، وصار خبرا بعد العيان، أعاد الله علينا من بركاته، وألحقنا من إمداداته، وأعاننا على إتمام ذلك، وهدانا إلى الطريق الصواب، وأقول في هذا المعنى؛ اغفر لمنشئة، واعفو، عن ما جنى من قبائح، يارب أحسنت بدئي، فأحسن ختامي، وسامح.

وسميته جواهر العقود في نسبة سيدي محمد شبل الأسود ضاعف الله لنا بمحبته الأجور الوافرة، ونفعنا به في الدنيا والآخرة إنه على ما يشاء قدير.

<u>فصل في زواج الفضل رضي الله عنه بمأمونة .</u>

نقل أن سيدنا الفضل رضي الله عنه كان شجاعا شديدا، وبطلا صنديدا، وكانت العرب تخشى بأسه، وتخاف مراسه، فلما أراد الله ظهور أثر قدرته، ومما سبق في علمه طبق مشيئته.

أقبل جماعة من العرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا ﴿يا رسول الله نحن قوم من تجار المدينة، ومعنا بضاعة كاسدة؛ أي بايره، ولكن تربح في بلاد الحبشة، ولكن لا نتمكن من الوصول إلى هذه البلاد، لأن العرب واقفون على أفواه الطرق، وكل من مر بهم أخذوا متاعه، وربما قتلوه﴾ ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿وما تريدون؟﴾ فقالوا: ﴿ نريد أن ترسل معنا ولد عمك الفضل رضي الله عنه، وهو يسافر وحده، ولاعليه بأس، لأن العرب تعرف شدته، وتخاف شجاعته.﴾ .

فأجابهم لذلك وأرسل إلى ولد عمه الفضل بن العباس وقال له ﴿ يا ولد العم إن هؤلاء التجار عندهم بضاعة، ويريدون بيعها في بلاد الحبشة، فخذها، وسافر بها، وبعها، واحضر ثمنها إليهم، لأنهم لا يقدرون على الذهاب إلى هذه البلاد خوفا من العرب، فأجابه الفضل بالسمع والطاعة، ثم توجه إلى منزله فركب جواده، وتقلد سيفه، وأخذ التجارة، وسافر بها وحده، دون أصحابها إلى أن وصل إلى مدينة برقان؛ رأس بلاد الحبشة، ولما سهل الله عليه بيعها أحضر الثمن، ووضعه في حرز مثلث، وأراد السفر إلى طيبة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فأتاه رجل من دولة الملك، وقال له ﴿أنت بعت ما كان معك، ولم تدفع ماعليك لملك المدينة، فقال: ليس علي شئ لأحد من مدينتكم هذه لا للملك ولا لغيره، فقال بل عليك العشر﴾ فتنازعا طويلا فاجتمع بهما رهط من دولة الملك، وتغلبوا عليه، وأحضروه عند الملك، وكان اسمه نعمان فلما صار بين يديه قال له ﴿لم تمتنع من دفع ما عليك من العشر مثل غيرك؟﴾ ، فقال له ﴿ إن هذه التجارة ليست ملكي، ولا تنسب لأحد من عشيرتي، ولا يجوز لي أن اتصرف في مال غيري، ولم يكن معي إذن من أصحابها...﴾ فقال ﴿وحيث لم تكن لك فلأي شئ تدخل نفسك في الشئ المتعلق بغيرك؟﴾ ، فقال له الفضل ﴿اعلم يا ملك أنها تنسب لفلان بن فلان، وبينه وبين العرب عداوة ظاهرة، فأتى إلى ولد عمي محمد صلى الله عليه وسلم، وأعلمه الخبر، فأحضرني، وألزمني بها، وقد أتيت لأبيعها، وأحفظ ثمنها، لأوصله إليه، وها أنا قد عزمت على العود إلى المدينة فمن أين لك المنع من ذلك؟﴾ ، فقال له ﴿لابد من دفع العشر مثل غيرك﴾ ، فقال الفضل ﴿ إن كان ولابد من ذلك فالأمر إلى ولد عمي محمد صلى الله عليه وسلم، فإن وصلت إليه، وأعلمته بذلك ورضي به وجهت لك ما أمرت به، وإن لم يرض فلاحيلة لي...﴾ ، فلما سمع نعمان كلام الفضل تغير عليه، وأمر بسجنه، وحلف على من في دولته أنهم لا يأتونه بشئ من الطعام، ولا الشراب حتى يموت بالجوع، وهذا من الجهل القائم به أن الجوع والعطش لهما تأثير، فنسب التأثير لهما دون الله تعالى فوضعوه في الغل، وجعلوه في سجن ضيق، وتركوه وحده أربعين يوما لا يأكل، ولا يشرب. ومع ذلك لايغفل عن ذكر الله طرفة عين.

فاستبطأه أهل التجارة فقدموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان علي رضي الله عنه حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له بعد أن سألوه أهل التجارة ﴿ ما أبطأ ولد

عمي يارسول الله؟》 ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم 《ولد عمك مسجون عند ملك المدينة، وإن شاء الله لابد من الخلاص》 ، فلما سمع الإمام رضي الله عنه ذلك دخل منزل فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فركب جواده، وتقلد سيفه، وخرج إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كاظم غيظه، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الحالة قال له 《إلى أين تريد ياعلي؟ فقال أريد أن تأذن لي في السير إلى المدينة التي حُبِس فيها ولد عمي الفضل، لأمحقهم جميعا، مع سلطانهم، فقال له النبي، مهلا يا علي حتى يأذن الله بما شاء》 ، وإذا بجبريل ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم، وقال 《إن ربك يقرؤك السلام، ويقول لك امنع عَلِيًّا من السفر إلى بلاد الحبشة فإن ملكهم يسلم على يد الفضل، ويهبه جارية من محاظيه ويأتي منها بغلام يكون لشريعتك نَاصِرًا》 ، فلما أفاق صلى الله عليه وسلم، أذن لعلي بالجلوس، وأخبره بما أعلم به جبريل، فأمر برجوع جواده إلى المنزل، وأخبر أصحاب التجارة بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك الوقت تركوه عن بالهم، واشتغلوا بأمورهم،
هذا ما كان منهم.

(خروج الفضل من السجن).

أعلم أنه لما سُجِن الفضل رضي الله عنه بسبب امتناعه من دفع عشر المال دعى الله سبحانه وتعالى أن يخلصه من السجن، ويفرج كربه، فاستجاب الله له دعاءه، وابتلى الملك نعمان بداء أعيا الأطباء عن مداواته، وكان عنده وزير ماهر يعرف الفراسة، وله دراية بالأمور فقال للملك 《يا سيد الجميع إن الذي حصل لك هو بسبب غضبك على الرجل الذي تغيرت عليه، وأمرت بسجنه، فوحق النار والنور، والظل والحرور، وجدي الصبور إني عاينت فيك هذا المرض من عهد هذا الرجل، وأردت أن أخبرك بهذا قبل اشتداد الأمر، فخشيت من تغيرك علي، فقال له 《وهل ذلك الرجل بَاقٍ إلى الآن، ولم يمت؟ وقد مضى عليه مدة طويلة لا يأكل، ولا يشرب》 فقال له 《 إن آل عبد المطلب عندهم دراية في تجارب الأمور، ويعرفون الحكمة، ومايغنيهم عن الأكل والشرب》 فقال له 《إن كان بَاقِيًا للآن فأرسل إليه، وعسى أن يكون الشفاء على يديه》 ، فقال 《 له لابد أن يعرف دواؤك، ولكن إذا دلك على شئ، ورد عليك عافيتك فأجزه من فضلك، وأرسله مع من يوصله إلى مدينته.》
فأرسل إلى الفضل رضي الله عنه فلما حضر قال 《ويلك يا مطلبي هل تعرف شَيْئًا من الذخائر تشفى به مَرَضًا، وإذا بورقة نزلت من السماء على رأس الفضل مثل ورق السدر مع ملك من ملائكة الريح، وسمع صوتا ولم ير شخصا يقول له 《أعطها له، وأمره أن يأكلها فَيُشْفَى بإذن الله تعالى》 فأخذها، وتناولها، فارتعدت فرائصه فعندما رأت الدولة ما حل بملكهم من السكرة حل بهم الغضب، وأرادوا قتل الفضل...

فتقدم الوزير، ومنع الناس عنه وقال لهم ﴿دعوا سيدكم فإنه سكران، وبعد ذلك يفيق، فإن هذا الحكيم صادق، فامتنعوا عنه قدر ساعة.﴾
وإذا به قد أفاق من غشيته، وأحد حسامه، وقام في الحال كأنما نشط من عقال، ومشى على من عنده في الديوان، وقال ﴿ما تشهدون في توحيد رب محمد صلى الله عليه وسلم، فأطرقوا رؤوسهم جميعا وقالوا ﴿نشهد، آمنا برب محمد، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، وبكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، حتى تقوم الساعة.﴾
فترك الدولة بعد إسلامهم، ودخل منزله وقال لأهله ﴿ما تشهدون في توحيد رب محمد، وفي رسالة محمد، فقالوا جميعا نحن آمنا قبلك بأربعين يوما، من عهد ما سُجِن المطلبي، وصار مُشْتَغِلًا بالذكر، وتلاوة القرآن، ولم يكترث مما حل به من الغل، والسجن، والجوع؛ فوقعت محبته في قلوبنا، فأسلمنا جَمِيعًا، من حين ذلك.﴾
فلما سمع الملك منهم ذلك ركب جواده، وسار في المدينة، وكلما مر على قوم أمرهم بالإسلام، فيسلمون، ويعلنون التوحيد فلما تم إسلام أهل المدينة، أمرهم بهدم الكنائس، والصوامع، والديور، وأمرهم ببناء المساجد وشيدها، ودعا الفضل رضي الله عنه، ليقيم عندهم، ويعلمهم دينهم، فأجاب لذلك، وأقام عندهم نحو عام، يعلمهم الشرائع، والأحكام، فأرشد الله على يديه ألفين من أهل الرشاد والعلماء الراسخين، وأربعة آلاف من السادة الصوفية.

(ذكر سيدنا عبدالله بن مسعود، وإحدى عشر صَحَابِيًّا اشتاقوا لزيارة الفضل رضي الله عنه بمدينة برقان بالحبشة)

لما طالت غيبة سيدنا الفضل عن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، اشتاق إليه الصحابة، وعزموا على زيارته، فتجهزوا للسفر، وساروا إلى مدينة برقان نحو بلاد الحبشة، وكانوا أثني عشر صَحَابِيًّا رضوان الله عليهم أجمعين، فلما قدموا إليه، وَعَرَّفُوه أن من في المدينة مشتاقون إليه، واقرأوه سلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وسلام سيدنا علي كرم الله وجهه، فلما عزم الفضل على السفر أقبل على الملك نعمان، وقال له ﴿ إني نويت المسير مع إخواني، وإياك لا تؤاخذني فعند ذلك دخل سرايته، وأتى بجارية عذراء من محاظيه وقال له ﴿ياسيدي اقبل هذه الجارية الحبشية مني هدية لك، فإنها تصلح لخدمتك، ولاتؤاخذني في ذلك فإنها على قدر مقامنا، لامقامك، فإننا إذا بذلنا أرواحنا لانكافيكم، فيما صار من صنعكم لنا﴾ ، فقال رضي الله عنه ﴿قبلنا ﴾ ، فعند قبولها من الملك فرح فَرَحًا شَدِيدًا، وهيأ لها مَنْزِلًا مُتَّسِعًا، وكان ذلك في شهر رمضان المعظم في السنة الثامنة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فلما كان في ليلة الفطر قال لإخوانه الذين حضروا لزيارته من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ﴿ ولا يخفى أن الله يعتق في هذه الليلة بقدر ما عتق في شهر رمضان فأشهدكم أني

اعتقت هذه الجارية، وأريد التزوج بها في هذه الليلة، فاشهدوا》 ، وأعتقها، وعقد له عليها عبدالله بن مسعود، وحضر بقية الصحابة الذين حضروا معه وهم المقداد بن الأسود، ومعاذ بن جبل، وسليم بن سلمان، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن مظعون، وعبادة بن الحساس، والحارث بن نعمان، وعبادة بن رواحة، وحارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن سيدنا الفضل رضي الله عنه أراد السفر، مع إخوانه إلى المدينة المنورة، فمرضت مأمونة رضي الله عنها مَرَضًا شَدِيدًا وطال مرضها، فاعتذر الفضل لإخوانه، وأعطاهم ثمن التجارة المتقدم ذكرها، التي كانت سَبَبًا لهذا الخبر كله، وأمرهم أن يدفعوه إلى أصحابه، وكتب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كِتَابًا يتضمن ماحصل من أول الأمر إلى آخره، وسار معهم إلى خارج المدينة، ورجع إلى منزله، فلما حصل الشفاء لزوجته، حملت منه بمن شهدت له ملائكة السماء بالفضل العظيم، قطب الوجود، وشبل الأسود، سعد السعود، يتفتق به كل رتق مسدود.

قال سيدنا الفضل رضي الله عنه 《لما حملت مأمونة بولدي محمد شبل تزلزلت الدنيا بأجمعها، وانهدم إيوان قيصر، ودير أصلان على رؤوس الرهبان، وكذا وقع قصر الملك صقال بن طود الاطواد، وكذا منارة ناثور على نواصي عبادها، وتجلت كعبة الله عند نزول النطفة في رحمها، وسمعت تسبيح ملائكة السما، وهم يقولون بلغات مختلفة سبحان من أخرج هذا الغلام من ظهر الفضل بن العباس إلى رحم مأمونة الحبشة، وجعله نصرة لدين مولاه الحي الدايم، الذي لاينام.》 .

قال سيدي عبد الله بن رواحة 《 حضرنا عقد الفضل على مأمونة فكنا جملة من الصحابة، فبينما نحن جلوس نتحدث مع بعضنا، وإذا بأحد العربان أقبل علينا، ومعه آنية من الفضة؛ ما رأينا مثلها وفي جوفها خمر عتيق شاهق البياض، فقلنا له 《من أنت أيها الأعرابي؟، ومن أين أقبلت؟، وأين تريد؟》 ، فقال 《 اعلموا يا خير أصحاب خير الخلق أن معي أمانة لهذه العذراء التي بصحبتكم، وألقى تلك الآنية في وجهها، وقال لها 《لا يظهر أثر هذه الهدية إلا بعد نزول ماء الفضل في رحمك.》 ، فانتشر الخمر الذي كان في الآنية في وجه مأمونة الحبشية، فعلمت أنها نطفة الإمام محمد شبل الأسود رضي الله عنه، فخرت ساجدة لله، فحمدت ربها على ما أنعم عليها بظهور آثار هذا الغلام الباتع.

فلما مكثت النطفة في رحمها أربعين يوما، طلعت تريد نقل ماء من البحر، فبينما هي سائرة في الطريق، وإذا بأحد أحبار اليهود اقتنصها، وأراد أن يسير معها إلى خندق، وإذا بسبع حال بينه وبينها، ثم سار إلى بلاد اليهود، وجال عليهم، ولم يزل يصول، ويجول، ويفترس إلى أن محقهم جَمِيعًا، وقطع آثارهم، فراق الوادي من شرهم، كل ذلك وهو نطفة لم يتغير.

ولامانع لذلك، أو أكثر من ذلك إذ أن الخوارق للعادات يجريها الله على يد من يشاء من عباده على حسب مقاماتهم، وكيف لا يظهر لمن نور الله به الوديان بعد الظلام، وقطع به أهل الشرك، والكفرة اللئام، وحفه بالعناية، وإقامة مقام الهداية، وانتصب في تحصيل ما كلف به من يوم الميقات إلى فك الوثاق، وجاهد في سبيل الله حق الجهاد في الكتاب المبين، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين.

فلما مكث في بطن أمه ثمانين يوما؛ خرج والده الفضل ذات يوم للصيد، والقنص كما هي عادته، فبينما هو سائر في الطريق، ولايدري ما يُفْعَل به، وإذا بأحد مردة الجان تلقاه فما يشعر إلا وهو محاصرة، وارتفع به إلى الجو حتى غاب عن الأبصار ولم يعلم أين يتوجه، فبينما هو طائر في الهواء إذا به قال له 《 لا تخف يا والدي فإني لحقت بك فوالله، لا اتركهم إلا موتى جميعا، وأريح الوادي من شرهم ثم صرخ عليهم صرخة عظيمة تهتز لها الجبال، وقال أنا شبل الأسود، وسعد السعود، فصار الجان الذي اختطف والده ترابا، ثم توجه إلى باقي المردة فهربوا منه، فتبعهم إلى أن نزلوا إلى الأرض السابعة حتى قتلهم عن آخرهم، وأراح منهم، وصار الوادي رائقا من أعوان الجن منذ كان رضي الله عنه حتى لحق بربه.

فلما مكث في بطنها مائة وعشرون يوما، سمعت أمه خطابا من أعلاها بأصوات مختلفات، وهم يقولون 《هنيئا لك يا ميمونة فقد حملت بمن تشرفت به ملوك الحبشة، ويكون لدين ربه ناصرا، وإن شاء الله تكونوا له من جملة الخدام في الدنيا والآخرة، وهو يُدْعَى محمد شبل الأسود؛ تسمى بهذا الاسم قبل أن يخلق الله الدنيا بخمسين ألف عام، فبالله عليك يا أمه أن تحفظيه وهو في أحشائك، فإنك ستعلي به على سائر النساء، فوحقه على الله إنه مشتغل بذكر مولاه، ويسبحه بأفصح لسان منذ كان علقة في أحشائك، فلا يسهو، ولا يلهو عن ذكر الله طرفة عين...》

فلما مكث في بطنها خمسة أشهر، وتكاملت أعضاؤه، وجاهدت روحه الشريفة مع المجاهدين، ونصر الله المسلمين على الكافرين ببركته؛ فعن عمرو بن العاص قال 《كنتُ في غزوة بأرض الحبشة، ومعي من المجاهدين ألف مقاتل، وَأَمَّرَنِي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخلنا على القوم وجدناهم متأهبين للقتال، وكانوا مثل الجراد المنتشر فوقع الحرب والكرب بيننا فَغَلَبُوا علينا، وظهرت الهزيمة فما نشعر إلا وفارس ظهر وسط المشركين، وصار يقتل يمينا وشمالا، كأنه الأسد الوثاب، ولا يستطيع أحد من المشركين أن يبارزه، فما مضى النهار؛ إلا وجيش الكفار مهزوم، وحصل النصر على يد هذا الفارس، وبعد انقضاء ذلك الحرب، تفقدت ذلك الفارس فلم أره، فلم قتل جيشهم، وأسر من أسر، وأسلم من أسلم، عزمنا على الرجوع إلى المدينة، فمازلنا مسافرين حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل بوجهه الكريم》 ، وقال 《كيف حال الجهاد معك ياعمرو؟ 》 فشرحت له القصة، وقلت له 《 يا حبيب القلوب إننا كنا هزمنا

لامحالة، وكان الأعداء حولنا من كل جانب، فما نشعر إلا وفارس دون البلوغ، أسمر اللون، مكحول العين بالكحل الرباني، فعندما صار معنا صرخ في القوم صرخة تهتز منها الجبال، وجال بسيفه في الكفار حتى فرقهم، ومزقهم، وبعد نصرة المسلمين، تفقدناه، فلم نجده، فحزنا حزنا شديدا، ورجونا أن يكون معنا دائما لقوته، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال ﴿أعلم ياعمرو أن الغلام الذي رأيته حال الجهاد؛ هو من صلب ولد عمي الفضل بن عباس، وإن شاء الله يكون لك مُعِيِّنًا على قتال المشركين﴾ فقلت له ﴿ ياسيدي، وكيف أرضه حتى أزوره سعيا على القدم فقال له صلى الله عليه وسلم ﴿ إنما هو في بلاد الحبشة، وإلى الآن لم يظهر له جسم، وإنما هو في بطن أمه مأمونة التي أهداها الملك لولد عمي، حين عُوفِي من مرضه، وأسلم الملك هو ودولته، فلما سمعت كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ومن كان حاضرا من الصحابة، صار كل منا يتوسل إلى ربه أن يكون عونا على جهاد الكفار.﴾

فلما تم له في بطن أمه ستة أشهر سرى سره في بلاد بحر الظلمات إلى بلاد المغرب، ثم بلاد يأجوج ومأجوج.

فلما تم له سبعة أشهر علمه الله أسماء التابعين له، والمريدين، وأحصى عددهم، وأحلق عاصيهم بطايعهم، فلما تم في بطنها ثمانية أشهر طافت بأمه أرواح الأنبياء وقالوا ﴿ اعلمى يا مأمونة أننا ما أتينا لنطوف بهذا الجنين الذي في بطنك، إلا لسماعنا بذكره وفضله قبل أن تحمليه بخمسمائة عام، فحقك عليه أن تحفظي مقامه، وتكرمي مثواه.﴾

فلما تم له تسعة أشهر، وتمت مدة حمله، وآن وقت وضعه، اخضرت حدائق المدينة بعد اليأس، وهدم الله من أجله سبعين كنيسة على نواصي أربابها.

ومذ كان نطفة إلى وقت الوضع لم تزل الملائكة طائفين به آناء الليل، وأطراف النهار؛ يتبركون بفؤاد أمه، وذلك كله من أجله، وإكراما له رضي الله عنه.

فلما نزل من بطن أمه إلى عالم الوجود، ذكر صاحب القصة، أن يده غاصت في الأرض حال نزوله، وقال ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ .

ولا غرابة في هذا؛ فكان رضي الله عنه من جملة من تكلم في المهد، فإن فيهم من هو دونه في المرتبة كَمُبْرِي جريج، وطفل الأخدود، وغيرهما، فإذا صح أن هذين تكلما في المهد؛ فيكون سيدي محمد شبل رضي الله عنه بالطريق الأولى.

ولما وُضِعَ هذا الإمام الباتع سيدي محمد شبل الأسود رضي الله عنه، قال صاحب القصة ﴿لما دخل عليه والده الفضل رضي الله عنه رأى نورا ساطعا، وشم شذى عطر أطيب من ريح المسك، والعنبر، والكافور. وَغُشِي على نساء المدينة، وألقين ما في بطونهن من الحمل.﴾

<u>كيفية استحضار سيدي محمد شبل مع والده الفضل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.</u>

اعلم أنه لما وُلِدَ سيدي محمد شبل الأسود ببرقان نزل جبريل عليه السلام، وأخبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، وكان ذلك يوم الخميس الثامن عشر من شهر رجب سنة تسع من الهجرة النبوية، فبعث صلى الله عليه وسلم هجانا إلى بلاد الحبشة، ليحضره له مع والده سيدي الفضل رضي الله عنه، فلما وصل رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى مدينة برقان أكرم الفضل مثواه، وتلقاه رضي الله عنه بالتحية والإكرام، ولما استقر به الجلوس قال له ﴿يا ابن العباس إن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، ويقول لك إن الله سبحانه وتعالى بشره بولادة نجلك السعيد على لسان جبريل عليه السلام، ويدعوك إلى الذهاب إليه بولدك ليبارك لك فيه﴾ ، قال سيدنا الفضل رضي الله عنه ﴿ما سررت بولدي محمد شبل أكثر من بشارة رسول ولد عمي محمد صلى الله عليه وسلم، ولما علمت مأمونة رضي الله عنها بذلك فرحت فرحا شديدا، وهيئت لها فصيلا من الإبل، وأخذ في أسباب السعي، حتى دخلنا المدينة المنورة، فأخذته على كتفي، وأتيت به إلى منزل النبي صلى الله عليه وسلم، فعندما عاينه تبسم وقال ﴿ مرحبا بالأخ وابنه﴾ ، ثم تناوله صلى الله عليه وسلم، ومس بيده الشريفة على رأسه، ومر بها على ظهره، وقبله في فمه، وقال ﴿ما اسم نجلك يا ابن العباس؟﴾ فقلت، ﴿ ياسيدي هو ذا بين يديك فسمه ما شئت فقال صلى الله عليه وسلم اعلم يا فضل أن ولدك هذا اسمه كاسمي، فكل من زاره في حياته، وبعد وفاته، كُنْتُ أمامه يوم الفزع الأكبر، وأنه سعيد، شهيد فبينما أنا جالس به في جانبه، وإذا بالحسنين قد أقبلا عليه، وبيد كل منهما منديل، فتقدم الحسن رضي الله عنه، وأخذه من فوق كتفي، وسبل عليه المنديل الذي بيده، وكذلك الحسين رضي الله عنه، وضع المنديل الذي بيده، وقالا ﴿ إن أمنا أرسلت هذين المنديلين معنا إلى ولد عمنا هذا﴾ ، وأشارا إليه. قال سيدنا الفضل رضي الله عنه ﴿ثم إن الحسنين أخذا ولدي رضي الله عنه، وذهبا به إلى أمهما فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فقبلته، وأهدته بهدية، وكل من رأته من نساء الصحابة أهدته بهدية، وحصل السرور التام لكافة إخواننا، ثم دخلت به بيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فعندما رآه اشتغل بحبه، وصار يلاعبه تارة، ويقبله آخرى وَجْدَاً في محبته، ثم انصرفنا من عنده به، فبينما أنا مقيم مع إخواني بالمدينة، إذ جاء الحسن رضي الله عنه، وقال أجب جدي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان بصحبته أخاه الحسين وبلال الحبشي، وكنت حينئذ بمنزل عمر بن الخطاب، مثُلت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بالجلوس وقال لي ﴿اعلم يا ولد العم أن جبريل عليه السلام نزل عَلَيَّ الساعة، وقال ﴿يا محمد ربك يُقْرِئُكَ السلام، ويخصك بالتحية، والإكرام، ويقول لك ﴿مُر ولد عمك الفضل أن يرجع بولده إلى محل ولادته، لأن عمر بن الخطاب اشتغل بحبه، وفني عن مشاهدة ربه﴾ ، فلما سَمِعْتُ منه صلى الله عليه وسلم هذا الكلام، صار الضياء في وجهي ظلاما، وفاضت عيناي بالدموع، وغلب علي البكاء، فقال صلى الله عليه وسلم ﴿إن شاء الله تعالى لابد

من الرجوع يا ولد العم》 ، فقمت وأنا حزين على فراق الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ألاقيه من عدم التمتع بالنظر إلي ذاته، وسماعي حديثه، ومشاهدة جماله صلى الله عليه وسلم، قال 《 ولما أتيت مأمونة، وأخبرتها بما سمعت من رسول الله صلى عليه وسلم، عز عليها ذلك، وحزنت حزنا شديدا، وبكت على فراق مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورامت عودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعت أن يأذن لي بالإقامة، فاستحييت أن أرجع إليه، وعرفتها أن هذا أمر ربي، لا يقوله النبي صلى الله عليه من تلقاء نفسه، ثم أخذني الوجد الشديد، وجعلت نصيبي البكاء، والنحيب، وتهيأت للسفر بولدي محمد شبل الأسود رضي الله عنه، فقبله النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا لنا بخير، وتوجهنا قاصدين مدينة برقان، وسهل الله علينا الطريق بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم. وفي أيام قلائل وصلنا إلى برقان؛ مدينة الحبشة، فاستقمت على ما كنت عليه من تعليم القرآن، والدين، ومحمد ولدي يشب في اليوم كشباب الصبي في الأسبوع...》 /

<u>التوسل بحضرته لرب العالمين.</u>

قال سيدي تميم الداري رضي الله عنه 《حصلت مشقة عظيمة، وكرب عظيم؛ من جانب عظيم، حتى ضاق بي الحال، فسعيت للنبي صلى الله عليه وسلم، وأخبرته بقصتي》 ، فقال 《 يا تميم توسل إلى الله بمن يغير على الإسلام بكليته، ويكون لدين ربه ناصرا، فقلت من هو يا سيدي يا رسول الله؟ فقال محمد بن الفضل بن العباس؛ سعيد في الدنيا والآخرة، فإنك إذا توسلت به، تقضى حاجتك بإذن الله تعالى، فإن مقامه عظيم عند ربه. 》

ففعلت كما أمرني النبي صلى الله عليه وسلم، فَقُضِيْت حاجتي بإذن الله تعالى، وهذا لا يُشْكِل على كون النبي صلى الله عليه وسلم، هو الوسيلة العظمى، والغاية القصوى في تفريج الكروب، وأنه صلى الله عليه وسلم أراد بهذا إظهارا لشرف الإمام سيدي محمد شبل الأسود رضي الله عنه لسيدي تميم الداري، وبيان فضله له، ليعلم قدره رضي الله عنه، وأعاد علينا من بركاته في الدنيا والآخرة آمين.

<u>نسب الإمام سيدي محمد شبل الأسود.</u>

هو محمد بن الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نذار بن معد بن عدنان.

قال صلى الله عليه وسلم 《كذب النسابون بعد عدنان. 》 فعبد المطلب الذي هو أول أجداد النبي صلى الله عليه وسلم، ثاني جد للإمام سيدي محمد شبل الأسود، وكفى بذلك فخرا عظيما، ونسبا من الأغيار سليما.

<u>من كراماته رضي الله عنه.</u>

فقد كان رضي الله عنه جميل الخصال، جواد بالنوال، فاق أقرانه عقلا، وعلما، وعفوا، وحلما، وشجاعة لاترام، أعاد الله علينا من بركاته، وجمعنا معه بدار السلام.
قال سيدي سلمان رضي الله عنه ﴿أتيت ذات يوم إلى دار النبي صلى الله عليه وسلم، فوجدت محمد بن الفضل عند فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ورأيت الحسن والحسين يطعمانه بمحبة وفرحة (فتأملته) فإذا هو أضوء من المصباح مع كونه أسمر، فتعجبت لحسنه ونضارته، مع اسمرار لونه، ورأيت عينيه مكحولة كحلا ربانيا، فبينما أنا قاعد أمعن النظر في تلك الأوصاف الجميلة، إذا بشعر لحيتي قد سقط من أصله، ولم يبق منه شئ، فصرت مجردا من الشعر، فجعلت لثاما على وجهي، وصرت حزينا على ما أصابني، فما أشعر إلا ومحمد بن الفضل انتقل من حضن فاطمة إلى حضني، ووضع يده على لثام وجهي مباشرة، وإذا بلحيتي قد نبتت فيها الشعر، وطال من وقته حتى صار مثل الأول بل أطول، فلما عاينت منه ذلك أخذته وسيلة إلى الله عز وجل، وصرت على قدمه، ومن أتباعه حتى نقل والله أعلم.﴾
وقد جعل الله له من الكرامات التي أكرمه بها رضي الله عنه، أن تناول الطعام وهو ابن سنة واحدة في المدة التي كان مع الحسن والحسين.
(فصل في كون الإمام محمد شبل صحابيا أم لا؟.)
قال سيدي محمد بن الحسن، رضي الله عنه، ﴿إن الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا، ونقل الأصوليون؛ أن الصحابي من اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأرض فقط، ولم يشترطوا فيه التعارف﴾ ؛ فعلى هذا التعريف يكون سيدي محمد شبل صحابيا، وهذا هو الراجح؛ إذا علمت ذلك، فالإمام محمد شبل من خواص الأصحاب من غير شك، ولا ارتياب، حيث أن اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم ثابت من غير إنكار.
قال سيدي معاذ رضي الله عنه، ﴿بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا به قد غُشِي عليه من بيننا، فلما أفاق من غشيته، تقدم إليه أبو بكر رضي الله عنه، قال له ﴿لم أغش عليك يا رسول الله؟، فقال صلى الله عليه وسلم، يا أبا بكر لقد نزل علي جبريل عليه السلام، وقال يا محمد ربك يُقْرِئُكَ السلام، ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك بشر بولادة محمد بن الفضل بن عمك العباس، فإن كل من أحبه، واتبعه من أمتك، كتب عند ربك من الأخيار، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بذلك، قال له يا حبيب القلوب اجمع بيني وبينه، ليحصل لي مدده العظيم، فجمعه النبي صلى الله عليه وسلم في عامه، وحصل له السرور بين المحبين، ثم إن أبا بكر رضي الله عنه، بعد اجتماعه بسيدي محمد شبل رضي الله عنه، والتملي بطلعته، وجنابه، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله هل لايقيم هنا هذا النجل السعيد الباتع؟، فقال عليه الصلاة والسلام، هيهات يا أبا بكر!، سيؤمر بالرجوع وقد كان.﴾

قال سيدي سلمة بن الأكوع، لقد حضرت إلى الإمام علي كرم الله وجهه في مجلس العلم بالعراق فكان مما حضر مجلسه بالعراق جماعة من العرب العاربة، فسمعته يقول 《 اعلموا يا إخواني أنه قد ولد للفضل ولد في هذه الجمعة، وظهرت لنا أماراته، فقلت له وما دليلك على أماراته؟ يا أبا الحسن》 فقال رضي الله عنه، 《لقد سمعت ملائكة سدرة المنتهى يقولون لبعضهم إن الفضل أتى بغلام، سلمت عليه أرواح النبيين، ومن يليهم، فيجب على كل من يعرف فضله، أن يسعى إليه في محل موضعه.》

وكان رضي الله عنه إذا حل بمكان يضئ كالمصباح مع كونه أسمر اللون، وكان يرى من بعد لفرط (ضياءه) رضي الله عنه.

قال سيدي الحسن البصري رضي الله عنه 《سافرت من البصرة إلى الكوفة، وكنت بصحبة الإمام علي رضي الله عنه، فبينما نحن سائرون في قارعة الطريق، وإذا بآفة عظيمة القدر يبلغ قدرها ثلاثون ذراعا، فظننا من بعد أنها منارة ظهرت لنا في ذلك الوادي، فلما قربنا منها وجدناها آفة عظيمة، تذهل منها العقول، وتوجل منها القلوب، فلزمنا الوقوف قدر ساعة ونحن متعجبون في حال تلك الحية العظيمة، قال لي الإمام علي رضي الله عنه، 《كيف حالنا مع هذه الآفة التي نزلت بنا في هذا الوادي؟!》 فقلت له يا أبا الحسن إن الروح إذا فارقت الجسد لاتعود له مرة أخرى، وقد تلقينا القضاء بالرضا، وسلمنا أمرنا لله تعالى، فبينما نحن بين خوف ورجا من أجل هذا الأمر منتظرون عفو الله، وإذ بصوت سمعته، فأكشل علي لفظه، وظننت أن الإمام علي رضي الله عنه فهمه، ففلت له 《يا أبا الحسن ظهر لك ما سمعت من هذا الصوت؟》 قال 《نعم》 ، فقلت له 《 وما يقول في تصويته؟》 قال 《إنه يقول إذا أردت السلامة يا علي من هذه الآفة فتوجه نحو المدينة التي بها ولد الفضل، وقل اللهم إني أتوجه إليك، وأسألك بحرمة محمد شبل بن الفضل عندك أن تكفينا شر هذا الأمر الذي عايناه، وشر هذا الوحش الذي نزلنا بحيه، ولم نعلم به》 فقلت 《يا سيدي وحيث أنك سمعت هكذا، وأنت مجاب الدعاء فما المانع، وأنت خبير بما نحن فيه من الخطر

العظيم، والخطب الجسيم》 ، فابتهل كرم الله وجه بالدعاء إلى الله، فلما تم دعائه، إذا بشئ نزل محقها، ولم يبق لها أثر بقدرة الله تعالى.

فلما عاينت ذلك قلت 《يا أبا الحسن هل لنا اجتماع بهذا الإمام؟》 فقال 《في الآخرة إن شاء الله نجتمع به》 ، فقلت 《 يا سيدي وما اسم المدينة التي هو فيها؟، وما حقيقة هذا الغوث الذي تتفرج به الكروب؟》 فقال 《 إنه بمدينة برقان ببلاد الحبشة مع أبيه الفضل بن العباس، وأنه يسود أهل زمانه، وينفع الله به عباده المؤمنين.》

ولا يُقَال أن هذا يقتضي تمييز رتبة الإمام محمد شبل على رتبة الإمام علي كرم الله وجهه لأنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل. والكرامات جايز جريانها على يد أي ولي من أولياء الله. وأما فضيلة الإمام علي فلا تنكر.

فلما بلغ عمره خمس سنين، من الله عليه بحفظ القرآن العظيم، وفك رموزه وهو ابن سبع سنين.
وشاهد الحور العين وهو ابن عشر سنين، ونطق بالحكم وهو ابن خمسة عشر سنه، وآتاه الله الحكمة، فصار لا يأكل، ولا يشرب، ولا ينام، ولا يقوم، ولا يقعد إلا بها. وكل من أتاه عليلا يبريه الله على يديه حتى أشتهر في تلك الجهات التي كان بها.

فلما بلغ عمره سبعة عشر سنة جعل الله محفة من النور تحمله في المشرق والمغرب، ويجاهد في سبيل الله وهو على متن المحفة، إكراما من الله له قال سيدي واقد بن منفحة العراقي رضي الله عنه ﴿ كان لي ولد خرجت به من الدنيا، ولم يكن عندي ما يعادله في المحبة فابتلاه الله بداء أعجز الأطباء، والحكماء ولازلت أتبع من يعرف الحكمة فلم أجد سبيلا إلى دوائه، ولا لصحة جسمه، فضاق صدري، وزال صبري فقلت ﴿في نفسي لابد أن أسافر إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، عسى أن يدلني على من يعرف دواء ولدي، فتأهبت للسفر بعد أن أنفقت في علاجه أربعة آلاف دينار، فلما توجهت إلى المدينة المنورة، فأول من لقيني علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، فجلسنا نتحدث مع بعضنا فذكرت له قصة ولدي فقال لي ﴿عليك بمحمد شبل بن الفضل بن العباس رضوان الله عليهم أجمعين، فإنك إذا تنال فوق المرام، لأنه صاحب دراية بالأمور كلها، وله جاه عظيم عند الله، وكرامة كادت تكون معجزة، وعاينت منه ما يشفي كل عليل، ويبريه فلما سمعت منه ذلك، وددت أن أطير له من الشدة التي في، ثم ذهبت إلى ولدي، وأخبرته بالقصة فشق عليه بُعد المسافة وقال ﴿يا والدي هل يمكن أن تسافر إليه؟، وتصف له الداء، ويصف لك الدواء، ويصنعه عنده ويرسله معك لأني أخاف أن يكون السفر بغير فائدة كما سبق، وازداد بالسفر ضرارا ومرضا، فلما سمعت هذا تحيرت في أمري، وقلت في نفسي أقيم هاهنا إلى غد عسى الله أن يلهمني الصواب، ثم أتيت إلى سوق المدينة المنورة، فاشتريت ما نحتاج إليه، وعدت إلى المكان الذي نحن فيه فلما جن الليل قرأت ما تيسر من القرآن، وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم، ما شاء الله، ونمت على طهارة، فبينما أنا بين النائم، واليقظان وإذا بالذي نصر الله به الإسلام، وأنار به الظلام عليه، وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، أقبل علي وقال ﴿يا واقد دع الشك، وأخلص النية، وخذ ولدك، وسر به إلى ولد الفضل محمد شبل في بلاد الحبشة بمدينة برقان﴾ ، ووصف لي المكان على حقيقته فانتبهت فرحا مسرورا بما رأيت، فلما أصبح الصباح استأجرت دابة لولدي، وأركبته عليها، وأخذنا في أسباب السعي إلى بلاد الحبشة، حتى دخلنا مدينة برقان التي بها الإمام محمد شبل رضي الله عنه، فلما أقبلت على سوقها، تلقاني جماعة من التجار أرباب البضائع يظنون أني أريد قضاء حاجات منهم فقلت ﴿ لهم أني لست بمشترٍ، وإنما أتيت إلى الإمام محمد شبل بن الفضل رضي الله عنه، لحاجة عنده أريد بها إصلاح شأني، فسار أحدهم معي، حتى دخل في حاكورة، وأنا متابع له، وألزمني الوقوف على الباب، فوقفت برهة يسيرة، وإذا بالأستاذ خرج

من بيت رأس الحاكورة، وأقبل علي، وبيده آنية فيها مرهم يشبه اليقطين المطبوخ، وقال ﴿ أين غلامك يا هذا؟ قبل أن أخاطبه، فأتيت به، وسلمته له، فأخذه وسار به إلى المنزل الذي خرج منه، وتركني مكاني، فأردت الدخول معهما فقفل في وجهي الباب، فوقفت منتظرا قدر ساعة، أو ساعتين، وإذا بولدي قد خرج على أقدامه، وليس به مرض، وسمعته رضي الله عنه يقول ﴿ يا واقد أنا محمد شبل بن الفضل بن العباس أداوي أمراض الناس في حياتي، وبعد مماتي بإذن الحي الذي لا ينام، وأسرار المصطفى صلى الله عليه وسلم، فالذي يقصد حمانا، وينزل بساحتنا، عار علينا أن نتركه ولو كان مرتكبا للكبائر حتى يتوب الله عليه، أعلم يا واقد أن دارنا دار للعيان، وبحرنا مورد الظمآن، فالتقرب منا نجاة، وأمان، والبعد عنا طرد وحرمان ثم أنه رضي الله عنه أقبل علي وأخذ بخاطري، وتوجهت إلى بلدي وأنا في غاية السرور بشفاء ولدي وظهور هذا الإمام الذي جعله الله رحمة لأهل عصره، بعد أن قبلت يده وسألته الدعاء، فدعا لي بالخير، والبركة، وسهولة الطريق فسهل الله طريقي، وأوصاني بالفقراء، فكنت أخضع لهم زيادة عما كنت أفعل بهم إكراما له رضي الله عنه، وعلى آله وأتباعه ومن والاه، وعلى كل من يلوذ بجنابه.﴾

وكان له كرامات في شفاء المرض ما لا يدخل تحت الحصر، والله أعلم.

قال سيدي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ﴿سافرت مرة إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فبينما أنا سائر في الطريق، وإذا بطائر فوق رأسي، ولم يتقدم عني شيئا وهو يقول بألفاظ معربات ﴿ لا إله إلا الله الواحد الأحد، محمد رسول الله السيد السند، ونجل الفضل بن العباس محمد شبل الأسد قد اصطفاه الله على كل موجود من الأبد إلى الأبد، لا إله إلا الله الحميد المجيد، محمد رسول الله الشفيع يوم الوعيد، محمد بن الفضل محبة السعيد، ومبغضه ليس له عن النار محيد، لا إله إلا الله العزيز الغفار، محمد رسول الله سيد المرسلين الأخيار، ونجل بن عمه بعيد عن عذاب النار، ومبغضه في عذاب جهنم، وبئس القرار. ولايزال الطير يردد هذه الألفاظ حتى جلست على بساط الأرض، ووضعت الطيلسان على رأسي فأخذني النوم في الوقت والساعة فرأيته صلى الله عليه وسلم، وهو يقول يا أبا أيوب الطير الذي سَمِعْتَ لفظه هو ملك من ملائكة سدرة المنتهى يذكر ربه دائما بهذه الكيفية، وهو بعض ما من الله به على ولد الفضل بن العباس الذي يدعى شبل الأسود، وهذا الطائر منوط بذلك إلى يوم القيامة، والذي بعثني بالحق نبيا لو أذنت بالقيام من قبري إلى الدنيا لخرجت لزيارة بن الفضل بن العباس، فانتبهت من نومي فرحا مسرورا من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم، وأضمرت على زيارته، ولو حبوا فلما دخلت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وأقمت فيها أياما قلائل بقدر الزيارة، ثم سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى صاحبه، وعلى من في البقيع، وصرفت الهمة إلى زيارة ابن الفضل بن العباس، لما سمعت على كراماته، وكنت أسمع قبل هذا أنه بمدينة برقان بأرض الحبشة، ولما وصلتها سألت عن منزله فدلوني عليه، فلما دخلت عليه وجدته صبيا دون البلوغ، ومع صغر سنه ذو هيبة عظيمة، ومع اسمرار لونه في غاية من الجمال فعندما رآني شاور إلي بمنديل كان بيده، وقال أقبل أيها المشوق إلينا لتنال المنى بعد العنى،

فأقبلت عليه وأنا مسرور بسماع خطابه، فسلم علي، وقبل مابين عيني، وكنت قبل ذلك ضعيف النظر فمن وقت ذلك كشف الله عني الغمة وقوى عزمي، وبصيرتي مع بصري، وزال عني كل بلاء وعناء ببركة سيدي محمد شبل رضي الله عنه. فأقمت عنده مدة وأنا في أرغد عيش فلما أردت الرجوع إلى بلادي خاطبته في ذلك وطلبت دعاءه فدعا لي بخير ثم قال يا أبا أيوب إن من زارنا في حياتنا وبعد وفاتنا كتب عندنا من الأحباب ثم قال لي إذا وصلت إلى طيبة المشرفة فبلغ سلامي على من شرفها وعلى صاحبيه، ثم قبلت يديه بعد أن أخذت بخاطره، ودعا لي بسهولة الطريق، وسافرت راجعا نحو المدينة المنورة، فلما وصلت إليها، ودخلت في بيت صاحب من أصحابي، قصدت الحرم المدني لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أتيت الروضة الشريفة وجدتها مفتوحة فلبثت قليلا في باب التكريم، ودخلت قريبا من القبة المشرفة، ولزمت الوقوف بعد أن سلمت على سيد الخلق، وقرأت ما تيسر من القرآن، فسمعت خطابا من داخل الروضة الشريفة يقول ﴿الحمد لله الذي بلغك ما ابتغيت يا أبا أيوب؛ من جعله الله نصرة الدين على يديه، فعند ذلك حصل عندي من السرور ما لا يدخل تحت حصر، فبلغت السلام الذي أرسله معي سيدي محمد شبل، رضي الله عنه، فرده علي صلى الله عليه وسلم، فخرجت من الروضة فرحا، مسرورا بما عمني به صلى الله عليه وسلم من الإكرام والقبول، والله أعلم.﴾

قال سيدي علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، ﴿إن الله تجلى على محمد شبل بن الفضل بالرضا وقال: يا عبدي ماتمناه تعطاه، وأنا جزيل العطا، فلباه يقوله: سبحانك ربي ما أعظم شأنك، وأرفع مكانك يا متقدسا في جبروته إليك أرغب، وإليك أرهب، تباركت يا عالم الغيب، تعاليت يا راحم الشيب، قال تعالى: ذكرتني أيها العبد المخلص، المجد، المجتهد في نفسك، وأنا ذكرتك في الملأ الأعلى، وغفرت ذنوبك، وذنوب من تبعك في سبيلي، وابتغاء مرضاتي، ومن يزورك الآن، وبعد وضعك في الثرى، ومن أتاك مخلصا، ختمت له بالإيمان، وكتبته من الصديقين. ﴾

ثم إن مأمونة والدة محمد شبل رضي الله عنهما، جاءت بعده بسبع بنات طاهرات وهن زمزم، وحليمة، ورضا، وعاتكة، وأم السعد، وأم الخير، وزكية؛ وكلهن أبكار، لم تتزوج منهن واحدة، بل نشأن على العبادة، والزهد، والصلاح مثل أخيهن رضي الله عنهن أجمعين، فلله درهم حيث تركوا زهرة الحياة الدنيا، وزينتها وراموا الآخرة وبهجتها، فنالوا السعادة غايتها، وكان رضي الله عنه يخرج من مدينة برقان، ويسعى إلى الحديقة فيقيم بها طول النهار، وبعضا من الليل، وليس ذلك بقصد التنزه والترفه، بل يقصد العزلة عن الأغيار؛ لأن العزلة ركن قوي من أركان الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، وأركان الطريق أربعة، الجوع، والسهر، والذكر، والعزلة؛ ولكل واحد من هؤلاء فضائل لا تحصى، ولا تستقصى.

ثم لازال سيدي محمد شبل يذهب مع أخواته إلى الحديقة بقصد العزلة عن الأغيار، وكل من احتاج إليه يسعى إليه فيدله على ما فيه إصلاح شأنه مدة من الزمان.

<u>الأمر بالجهاد.</u>

فبينما الفضل رضي الله عنه جالسا في محراب المسجد إذا بنداء يسمعه، وهو يقول بأعلى صوت ﴿انتبه يا فضل يا بن العباس إن الله قطع نصيب ولدك محمد شبل من هذه البلاد، ووصله لأرض مصر لأجل الجهاد فهيئه للسفر، ولا تمنعه، وصبر أخواته عنه، وإن تأنيت عن هذا الذي قُضِي به وكان، فلا يكون لك يوم القيامة عنده من شأن.﴾

فانتبه الفضل فزعا مما سمعه وقال ﴿لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، إن هذا لأمر عجيب، ثم صار يتفكر، وهو غائب عن الوجود من هذا الأمر، فبينما هو كذلك، وهو جالس مكانه، وإذا بولده محمد شبل مقبل عليه، ثم جلس بجانب والده، وقال له ﴿سألتك بالله يا والدي أن لا تكتم شيئا مما سمعته الليلة، فإن قضاء الله لا يُرَد.﴾ ، فعند ذلك اشتغل فكره بالأحزان، واشتعل قلبه بالنيران، فأخذه الوجد الشديد، وأنشد...

على حبكم أنفقت كنز شبابي
ومن أجلكم قد صرت مثل سراب
شرفت بكم حينا فلما نويتموا
على السفر ضاعت حيلتي وصوابي
ظننت بأني قد أمنت فراقكم
فخيبني ظني وسوء حسابي
فما استحسنت عيني جمالا رأيته
سواك، وخير الخلق، طول شبابي
لقد كانت الأكوان طوعا لخدمتي
لأجلك (طوعت) مذهبي وإيابي
فكم أنت والكاسات تجلى
حظيرة قدس في ألذ خطابي
إذا غبتموا عني تذوب حشاشتي
وتبدل أنواري إذا بضبابي
أحلوا بي الهجران والبعد والجفا
ومن بعد طيب العيش مر شرابي
لم ياغراب البين روعت مهجتي
وأجريت دمع العين كالخلجان؟
فإن كان هذا رضا خالق الورى
جعلتكموا ذخرا ليوم حسابي.

فلما عاين سيدي محمد شبل من والده هذا الوجد، تبسم ضاحكا في وجه أبيه وقال ﴿يا والدي أرح نفسك، وَكِلْ أمرك إلى الله الذي يعلم سرك، وجهرك فإنه حكمته لا ترام لأحد من الأنام،

واشكره على ما أنعم عليك، بأن جعل من نسلك (من) يغزو في سبيل الله، ويعز به الإسلام... 》

فبينما هو يتحدث مع أبيه، وإذا بإخوته وقد أقبلن عليهن، وسألن عن الخبر، فأخبرهن الإمام محمد شبل بالقصة، ولم يكتم عليهن شيئا، ففرحن بذلك، واستبشرن بما سمعن من أخيهن رضي الله عنهن أجمعين، وعن جدهن رضاء تاما، فلما أخبرهن أخوهن، فإن والده عز عليه ذلك، وعسر عليه...قلن له 《كيف تهتم علينا ونحن سعداء الدارين، أما سمعت قول الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ.)، فمن أين لنا أن نتخلف عن هذا الأجر العظيم، ومن أين لك أن تكون كالحزين الكظيم، فعند ذلك فاضت عيناه رضي الله عنه، وقال 《وأنتن تعلمن أني أكره الجهاد في سبيل الله؟!! وأنا أعلم الغدوة والروحة إلى الجهاد في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ثم فاضت عيناه رضي الله عنه، وقال: والله ما عسر علي إلا فراقكم، ولو أذن لي معكم لكان غاية مطلبي، ولكن أسأله أن يمن علي بالصبر الجميل على فراقكم وأنشد:

والله ما فرقة الأحباب هينة ..
ياحسرتي حينما تدعو دواعيها
بالله يا دهر ساعدني على حزني...
أحشاء قلبي لهيب النار(توديها)
مني عليكم سلام الله ماطلعت...
شمس النهار وما قد ناح ناحيها...

<u>تحرك جيش الإمام</u>

ثم إن الإمام محمد شبل تهيأ للرحيل، وبادر إلى أمر الملك الجليل، ومن ذلك الحين أخبر الملك النعمان بالذي قدره الرحيم الرحمن، وأخبره أنه مأمور بأخذ أخواته معه، فهيأ له الملك نعمان ما يحتاج إليه، وأنفق له ثمانية من الخيل له و لإخواته، وسار رضي الله عنه إلى أن جاوز عمران المدينة، فنصب الخيام، فأقام يوما في الخلاء وذلك من الله سبحانه وتعالى.

<u>إلتحاق الأمير مقبل بجيش الإمام</u>

وكان للملك النعمان ولد شجاع يسمى مقبل، وكان من أشجع الناس، وأفصحهم، وأصلحهم. فلما علم بذلك الأمر، فلم يتمالك نفسه حتى تهيأ للرحيل مع الأمير محمد شبل الأسود وقال 《 ياسيدي محمد شبل إن قلبي يحدثني أن أسير معك، فهل لك أن تأخذني معك من أتباعك، فقال له: إذا قد قدرت السعادة الحسنى وزيادة》 ، فقال له: 《من غير أمر ألتمس الإقامة يومين أجمع ما أقدر عليه من الرجال》 فأجابه رضي الله عنه لذلك، ثم إن الإمام مقبل رجع إلى المدينة، وأخبر والده: 《أنا لا أتخلف عن الإمام محمد شبل طرفة عين، وقد بعت روحي في سبيل الله...》 ، فقال له: 《حيث خالفت أمري فسر وحدك، ولا تأخذ أحدا من الجنود》 ، فقال له: 《 أسير معه، والله معنا، ولاحاجة لي بك، ولا بمن معك من الجنود》 ، ثم قام من عنده،

وهو ممتلئ بالغيظ، وكذا أبوه امتلأ غيظا على سفره، لأنه هو الذي يدير حركة المملكة، والدولة تخشى بأسه أكثر من والده، فلما جاء الليل، ونام الملك النعمان، فرأى في منامه المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو يقول ﴿يا نعمان... إياك يا نعمان أن تمنع ولدك عن متابعة الإمام محمد شبل رضي الله عنه فإن في ذلك صلاح الأحياء والأموات فأهل مصر ونواحيها انقلبوا على أعقابهم، واستحبوا العمى على الهدى، وأرادوا نبش قبور الشهداء، وحرق أجسادهم، وبدلوا مساجد الإسلام كنائس، فوجهنا إليهم هذا الأسد القاطع، فعليك أن تمده برجال من عندك لأكون راضيا عنك، وإن لم تفعل فلا نصيب لك عندي، وأنا برئ منك﴾

فعند ذلك انزعج الملك فزعا، مرعوبا، وقام من ساعته في غسق الليل، وركب جواده، وسار إلى الإمام محمد شبل الأسود رضي الله عنه في المكان الذي هو نازل به، فلما وصل إليه نزل عن الفرس قبل أن يقدم عليه، ثم قبل يده الكريمة، فأجلسه رضي الله عنه إلى جانبه، وقال له ﴿أتيت إلينا لتعبير الرؤيا التي رأيتها يا أبا مقبل؟! وألا تريد منع ولدك من الأجر والثواب؟﴾ ، فقال له: ﴿يا سيدي، وابن سيدي لا تؤاخذني، فإني مقر بالخطأ، وأنتم أهل العفو والسماح، فإن شئت أن أكون معكما فلا مانع في ذلك، وإن أردت أن أجمع لك الأبطال، ويسير معك ولدي مقبل فها هو في رعاية الله، ورعايتك، وخادم لنعالك، والله ينصركم، ويثبت أقدامكم﴾ ، فقال له الإمام: ﴿لاحاجة لي بأخذك معي، وإنما تمد ولدك برجال من رجالكم، كما أخبرك النبي صلى الله عليه وسلم، فبات الملك النعمان إلى الصباح، وأرسل إلى الجهات التي تحت حكمه وقال لولده مقبل، هؤلاء كلهم أبطال فخذ ما يكفيك منهم، أو خذهم جميعا معك، ولو رضي الإمام محمد شبل بسيري معكم لكان ذلك غاية قصدي، واعلم يا ولدي أن هذه الغزوة كتبت علينا بإشارة من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وليس هناك شك في ذلك، فقد رأيت في منامي سيد الأنام، وهو يقول إن في ذلك صلاح الأحياء والأموات. فها أنت يا ولدي كل ما رأيته صوابا، فلا خلاق لك فيما تراه﴾ ، فلما رأي مقبل هذا من والده فرح فرحا شديدا.

<u>تنظيم جيش الإمام وقوامه</u>

ولما اجتمعت الرجال من الجهات، جهز لهم المؤنة والذخيرة، وكل منهم أخذ كفايته، وما يلزم له، وسار ذلك الجيش ومقدمه الأمير مقبل، حتى أتوا إلى الإمام محمد شبل، فلما صاروا عنده، قال لهم الأمير مقبل ﴿اعلموا أيها القوم أن هذا إمامكم، ومالك أمركم، فكونوا مطيعين لأمره، مجتنبين لنهيه﴾ ، فوضعوا أيديهم فوق رؤوسهم، و أذعنوا له بالطاعة، ثم إنهم أقاموا بذلك المكان حتى قضوا مصالحهم، ورتب رضي الله عنه الرؤساء منهم على باقيهم، فكانت عدة الجيش اثنان وخمسون ألف مقاتل، الرؤساء منهم أربعة عشر، انتقدهم الأمير رضي الله عنه بالفراسة التي لا تنكر فيه، وهم الأمير فرج، والأمير حسام الدين، والأمير نصير، والأمير سعد فهؤلاء الأربعة كانوا موالي، والعشرة أحرار وهم الأمير عمر الخزرجي، والأمير عمر الأنصاري، والأمير إبراهيم زعيزع، والأمير جمال الدين، والأمير محمد العراقي، والأمير موسى المازني، والأمير عبدالله العجمي، والأمير قيده الخزرجي، والأمير معاذ الأوسي،

والأمير يوسف الجهني، والأمير مقبل فهو فوق الجميع لكنه لا يخرج عن رأي الإمام محمد شبل الأسود رضي الله عنه.

بداية الرحلة

وبعد ذلك توجهوا للديار المصرية للجهاد في سبيل الله، لطاعة الله، طالبين وفي ثوابه راغبين، ولرضاه راجين، وذلك في العشر الأوائل من ربيع الثاني، في السنة الثانية بعد الثلاثين من هجرة سيد المرسلين، ثم إن الإمام رضي الله عنه جعل إخوته بجنبيه يمينا وشمالا، وسار أمام الجيش، فأقبل والده، رضي الله عنه، على أولاده يودعهم، وهو لا يفتر عن البكاء، والنحيب، ثم قدم على الإمام رضي الله عنه، فعانقه، وقال له ﴿يا ولدي هذا الفراق! فمتى يكون التلاق؟!، فقال له: لقاء الملك الخلاق!.﴾

عهد الإمام محمد شبل مع والده

اعلم أنه لما ودع سيدي الفضل أولاده قال له ﴿يا ولدي مايدلني على أحوالك، وبقاء حياتك؟، ليرتاح قلبي...﴾ . فقال له: ﴿ يا والدي، رحمك الله، إذا أردت الوقوف على حقيقة حياتي فكل يوم بعد صلاة الصبح، حول وجهك إلى جهة المغرب، واصغى بأذنيك فتسمع الخطاب من أشرف الأنساب، بتحية أظرف الأصلاب؛ وإن تأنى خطابنا عنك، وغاب، فاعلم أننا سكنا تحت التراب، وتولى أمرنا رب العباد، الكريم الوهاب﴾ ، ثم أمره بالرجوع، وقال له ﴿بالله عليك يا ولدي لايحل فراقي عنك، فدعني أسير معك إلى طيبة المشرفة لأزور ابن عمي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأن نتزود من رؤيتكم﴾ ؛ فأجابه لذلك، وهيأ له دابة، ولأمه مأمونة دابة، وجعل أمه بين أولادها البنات، وجعل والده بجانبه رضي الله عنهم أجمعين، وساروا في الطريق بقية يومهم.

فاتفق نزولهم في مكان قفر موحش لا شئ فيه من أنواع الزرع، فأقاموا ليلتهم في ذلك المكان، ولما أصبح الصباح، صلى بهم الإمام رضي الله عنه، وأمرهم بوضع أثقالهم عن أنعامهم، فامتثلوا ذلك، وإذا برهط أقبل عليهم، فلما عاينهم الإمام قال لهم ﴿من أين؟ وإلى أين؟ أيها العرب؟﴾ ، وذلك بعد أن أجلسهم، وأكرمهم، فقالوا له ﴿ نحن قوم تجار من بني عبس، وبني فزارة، وكنا قاصدين إلى طيبة المشرفة للتجارة، وكانت عدة رجالنا ألف رجل، وكانت بضاعتنا تحمل على إحدى عشر ألفا من الإبل، فبينما نحن سائرين بجهة الجبل الفلاني، وإذا بشئ خرج من الجبل، فظننا على بعد أنها زوبعة رياح مختلفة، فلما قدمنا وجدنا آفات من أعظم ما يكون، فلما أحسوا بنا انفردوا علينا، فلما تمكنوا منا، وضاق بنا الحال، وأحيط بنا من كل مكان، سلمنا في أنفسنا، وآيسنا من الحياة، ومن البضاعة، والإبل التي معنا، ورجعنا هاربين، وقد هلك أكثرنا من أذاهم، وقد التقينا بكم من غير موعد، فالحذر يا سيدي من السير في تلك الجهة لئلا يصيبكم مثل ما أصابنا﴾ ، فلما سمع الأمير كلامهم، تبسم ضاحكا، وقال ﴿إننا لا نسافر إلا من تلك الجهة إن شاء الله﴾ ، ثم أخذ الجيش، وسافر به من الجهة التي حذرته العرب منها، ولم يلتفت لقولهم، فرجع العرب معه لتجارتهم، التي تركوها، واطمأنوا بالجيش،

وسار الإمام أمام الجيش، وبصحبته الأمير مقبل، ورؤساء الجيش فلما قرب الجيش من الجبل، تأخرت العرب، حتى صاروا خلفه، فلما كانوا في المكان المعهود أمر الإمام محمد شبل بالإقامة، فأمسكوا عن السير، ونصبوا الخيام، وجلسوا، وأما الإمام فإنه سار إلى ذلك المكان الذي سمع به حتى وقف ببابه، فما يشعر إلا وآفة خرجت منه، ووقفت على ذنبها، حتى صارت مثل المنارة الشامخة، فقال ﴿ الله أكبر﴾ ثلاث مرات، ثم تلا قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ موتوا، موتوا، موتوا بإذن من يميت الأحياء، ويحي الموتى، وهو القاهر فوق عباده، فما فرغ من مقالته حتى خرجوا من المغارة، كأنما سائق يسوقهم، وماتوا بإذن الله، ثم إنه نظر في الغار فوجد فيه أولادهن مثل الأعمدة، فتفل في داخله، فصاروا مثل العجين المائع في الوقت والساعة.

فلما نظف الغار من هذه الحيات، والافاعي؛ أقبل على الجيش، وأخبرهم بما صار، ففرح العرب فرحا شديدا، وساروا إلى الجهة التي تركوا فيها بضاعتهم، فوجدوا البضاعة باقية، وأما الإبل فوجدوا أغلبها قد مات، وذاب لحمه، ونخر عظمه، فأخذوا ما وجدوه، وحملوا عليه بعض بضاعتهم، وساروا معا، فتقدم كبيرهم للإمام، وقبل ركابه، وقال يا سيدي ﴿إننا بذلنا أرواحنا في سبيل الله، وفي محبتك، فبالله عليك لا تحرمنا من صحبتك، وها نحن أسرائك، ومن بعض خدمك وأتباعك، فقال الإمام ﴿مرحبا بكم، كلنا على الله تعالى، فإن شئتم صحبتنا فابذلوا أرواحكم لمن أوجدها، وآثروا الآخرة على الدنيا﴾ ، فقالوا: ﴿سمعا وطاعة ﴾ وساروا قاصدين إلى طيبة.

<u>بطيبة</u>

والأرض تطوى ببركة الإمام رضي الله عنه إلى أن وصلوا المدينة المنورة، فتلقاهم أهلها بالتحية والإكرام، وظهور الفرح والسرور. فأمر بنصب الخيام، خارجها وسار هو رضي الله عنه، ومقبل وبعض رجال، حتى أتى الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام، فلما عاين القبة الشريفة، بكى بكاء شديدا، وبعد أن سلم على النبي صلى الله عليه وسلم بلحظة والأمير مقبل بجانبه، فسمع الإمام يقول ﴿سمعا وطاعة لله، ولك يارسول الله﴾ ، واشتغل بالبكاء رضي الله عنه، فعز على (الزائرين) بكائه، فلما أفاق، قام في الساعة، وعمد إلى الجيش إلى أن دخل خيمة سيدي مقبل، فلما استقر به الجلوس قال له ﴿ما هذا الحال يا سيدي؟ لقد عز علينا بكائك حال الزيارة﴾ ، فقال: ﴿قد سمعت خطابا من الروضة الشريفة يقول هنيئا لمن اتبعك يا ابن الفضل، فلا تقيموا هنا خلاف هذا اليوم لأن القطر المصري عادوا إلى الضلال بعد الهدى، وبدلوا نعمة الله كفرا، وهدموا المساجد، وجعلوا مكانها كنائس، فبادر إليهم بنصرة الله ومعونته، فلبيته صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة، فأخذني الوجد الشديد.﴾ .

ثم إنه رضي الله عنه أقام بقية يومه بالمدينة، وأهلها يقدمون إليه أفواجا، يسلمون عليه، ويستأنسون به، ويأخذون بخاطره، وفي الصباح أمر الجيش بالمسير، فتجهزوا، وانتشروا في الطريق، فتقدم الفضل رضي الله عنه، وضم الإمام إلى صدره، وعانقه، وصار يقبل وجنته،

وبين عينيه مع البكاء والنحيب من ألم الفراق، وبعد أن ودع ولده رضي الله عنه، وأخذ بخاطر أولاده أراد الرجوع إلى الحبشة مع زوجته مأمونة، فأبت الرجوع، وقالت ﴿أنا لا أقدر على فراق أولادي جميعهم، فلو تركوا لي واحدة اتسلى بها فربما يهون الأمر﴾ ، فقال لها الفضل ﴿ قد استودعناهم الله، ووديعته لا تخيب.﴾ وصار يعظها، ويهون عليها، فلم تسمع له، فعثر عليه ذلك.

وصار الإمام محمد شبل يلاطفها، ويقول ﴿يا أمي ألزمي الصبر، تنالي الأجر، وقضاء الله لا يُرَد، وهذا ما أراده الله﴾ ، فقالت له: ﴿ يا ولدي خذني معك، أو اترك لي واحدة اتسلى بها، إذ لاحياة لي بعدكم﴾ ، فقال: ﴿لو كان ذلك باختياري لفعلت، وإنما هو بإرادة الله تعالى، فاشكريه على ما أنعم عليك، بأن جعل منكم من ينصر الإسلام.﴾ ، ولازال رضي الله عنه يلاطفها مدة من النهار، وهو جالس من أجلها على الأرض حتى طيب نفسها، ثم رجعت مع سيدنا الفضل بغير اختيارها، وأقاما في المدينة أياما قلائل، وسافرا إلى الحبشة، فأقاما بها عامين، فلم يطب لهما بها عيش بعد أولادهما، فرجعا إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، كلما هتف به طيف ولده الإمام رضي الله عنه، وذكر فصاحته ومحاسنه، وضاق صدره يذهب إلى الحرم فيتسلى بمن يجده من إخوانه وأقاربه، وأما زوجته رضي الله عنها فإنها كلما تذكر أولادها المسافرين يزداد وجدها، فما تجد حيلة خلاف البكاء والنحيب، هذا حال الفضل مع مأمونة.

<u>إلى مصر، وترتيب الجيش</u>

وأما الإمام رضي الله عنه، فإنه رتب الجيش على ما اقتضاه رأيه، فجعل الأمير مقبل في وسط الجيش، والأمير علي الأنصاري عن يمينه، والأمير عمر الخزرجي عن يساره، وجعل كل واحد من العشرة المتقدم ذكرهم على جملة من الرجال، كل أمير منهم على حسب فروسيته، ثم ساروا في البر الأقصر قاصدين، ولنصرة الإسلام طالبين، وإلى الجهاد في سبيل الله مشتاقين، وفي كل مرحلة ينزلون في مكان فسيح يستريحون.

ولازالوا على ذلك الحال إلى أتوا إلى الديار المصرية، فنفر أهل الضياع والصعاليك، وفروا هاربين إلى مصر القاهرة، وأخبروا ملكها بقدوم الجيش وكان يسمى حردوب الأعسر، وكان جبارا، عنيدا، وبطلا صنديدا. وكان له نائب من قبله بمصر العتيقة يسمى شغلوب الأخفش وهو أشد بأسا وقوة من الملك حردوب، حتى أنه كان يتعاظم على الملك حردوب ملك القاهرة، وكان يسلم له الرأي، لأنه عاهده فوجده ذي رأي، وخبير بالسياسة، وهو الذي حرض حردوب على الانقلاب، فإنه كان أسلم على عهد عمرو بن العاص مدة خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لأن مصر فتحت قهرا، فكان حردوب كاتما للكفر خوفا من القتل، وأظهر الإسلام ليعصم دمه وماله، فاستمر كاتما الكفر مدة قوة الإسلام، فلما قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، وَفُتْح باب الفتنة، وتفلتت الإمارة في مصر، وصار التشاجر بين الشام والكوفة، واشتغلوا به عن مصر ونواحيها، انقلبوا على أعقابهم، واستحبوا العمى على الهدى، لأن باب الفتنة من أول خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه كما يشير بذلك حديث البخاري.

معارك الفسطاط، موقعة دير مطروحين.

وكان شغلوب متعهد للملك حردوب بمجاهدة الأعداء الذين يقاتلون من أهل الإسلام فهذا السبب في الردة، وبالقضا يغلب الشقا، فلما علم حردوب بقدوم الجيش أرسل إلى شغلوب فوجده غائبا في الواحات، فلما جاء الرسول، وأعلم بذلك، أخذ جواده وركبه، وأخذ بعض رجال دولته، وقصد الواحات، وبين مصر والواحات نحو خمس مراحل، فلما علم بقدومه خرج للقائه، وجلس يتحدث معه فقال له حردوب ﴿ما هذا وقت حديث، وإنما هو وقت الغارات.﴾ فقال له شغلوب: ﴿كفانا المسيح شرها، وما ذلك يا ملك؟ ﴾ فقال له: ﴿بينما أنا جالس، وإذا خبر قادم بأن المسلمين هجموا علينا، ووطئوا أرضنا، وأميرهم يسمى محمد شبل الأسود، ومعه مقبل ابن الملك نعمان ملك الحبشة، فأرسلت إليك في مصر العتيقة، فلم أجدك، وعلمت بأنك هنا، وقد أتيتك بنفسي فإن المسلمين قد زحفوا علينا﴾ ، فقال له شغلوب: ﴿طب نفسا، ولا تهتم من هذا الأمر، فكلنا يد واحدة فسندهمهم دفعة واحدة، فنقطعهم، وإلا فأرح نفسك وعساكرك، وأنا أقاتلهم، وأستعين عليهم بالنار، والنور، وبطاقة الديور﴾ .

ثم كتب إلى الجهات التي في قبضته، ونادى بالغزو والجهاد، فأقبلت جيوش الكفار، فلما أشرفت الكتائب صاروا ينادون ﴿ يالمسيح، يالصليب﴾ هذا ماكان منهم.

وأما الإمام رضي الله عنه فإنه لما قدم مصر، وجد مكانا فسيحا قد التفت أشجاره، وجرت أنهاره، وفيه من الكلأ ما لايدخل تحت حصر فأمر رضي الله عنه، بنصب الخيام في هذا المكان ثم كتب جوابا إلى ملك مصر القاهرة مضمونه.. ﴿من محمد بن الفضل بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، إلى ملك مصر القاهرة، أما بعد، فإن الدين عند الله الإسلام، ومن يبتغ غيره فهو خاسر، واعلموا أنما أتيناكم لذودكم عن الضلال إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشد فإن شئتم النجاة في الدنيا والآخرة فاشهدوا لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، فإن أجبتم لذلك فلكم مالنا، وعليكم ماعلينا، وإن أبيتم فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وختمه رضي الله عنه، وأرسله مع أحد المجاهدين، فلما وصل رسول الإمام إلى الملك حردوب، وجده جامعا من الجنود ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، متأهبين للقتال فامتنع رسول الإمام من إعطاء الجواب، وتطلع لفعلهم، وسمع لقولهم، فإذا الملك يقول ﴿نهجم عليهم بأمر المسيح في نصف الليل، ونحتاط بهم، فنقطعهم عن آخرهم﴾ ، وتم رأيهم على ذلك، فرجع رسول الإمام بالجواب إلى أن وصل إلى أمير الجيش رضي الله عنه، وأخبره الخبر.

فعند ذلك صرخ صرخة عظيمة تهتز لها الجبال، وأمر الجيش بالمسير إلى القوم، فساروا عن آخرهم فلم يشعر الكفار إلا وغبار قد فار، وشد الأقطار. فما مضى ساعة من النهار إلا وقد انجلى ذلك البناء، وتمزق إلى الجو وطار، وتحت ظلمة كواكب الأسنة والرماح، وبريق بيض الصفاح، وبان من تحته عساكر الإسلام، وحماة دين خير الأنام صلى الله عليه وسلم، وظهرت الرايات الإسلامية، والأعلام المحمدية، وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار، في دروع تحسبها سحابا مزردة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان، وتلاطم البحران، ووقفت العين على

العين،(وهجم) كل خصم على خصم من الفئتين، فأول من برز إلى الميدان الأمير مقبل، وجال في طائفة الكفر كالسكران، وصارت الكفار تنادي عيسى بن مريم، والصلبان، والرهبان، ولازالوا في نزال وقتال إلى أن ذهب ضوء النهار، وأقبل الليل.

خدعة خرفوش

فأرسلوا إلى كاهن مداهن اسمه خرفوش ابن مقابر، وكان في المكر والخداع لايطاق، وقالوا له 《 كيف العمل والتدبير في هذا الأمر العسير؟》 فقال 《أنا لا أبدي مقالا إلا لمليككم الذي يسمع قولي، ويعمل به فأرسلوا إليه》 ، فأجلسه، وأكرمه وقال له: 《ما عندك إلا الصواب من الرأي لقطع الأعداء الذين وطئوا أرضنا، وقتلوا رجالنا؟》 ، فقال: 《 اعلم أيها الملك أن معي من التدبير والخداع ما لايعرفه أحد من أهل الحصون، ولو أطعتموني لأشرت عليكم بأمر يعجز عن تدبيره إبليس، وكل رئيس وهو أنك تعرف عدة القوة كم ألفا، وترسل قدرهم من الأبطال إلى خيامهم من الجهة الشرقية، ومثلهم من الجهة الغربية، ومثلهم من الشمال، ومثلهم من الجنوب وذلك في وقت لايتأخر قوم عن قوم، فإذا أحاطوا بالخيم الإسلامية من كل جانب ومكنوا فيهم السيوف، وقطعوهم عن آخرهم، فزال العنا، ودام لنا الهنا》 ، فاستصوب حردوب رأيه، وفعل مثل ما أمر الكاهن.

وأما المسلمون فإنهم أمضوا ليلهم في موارة الشهداء، وتفقد الجرحى. والإمام رضي الله عنه يبشرهم بالنصر والسلامة، والثواب.

ولما أتى الصباح تهيأ كل منهم للقتال، ورتب الإمام رضي الله عنه جماعة من القوم حراسا على الجرحى، ثم توجهوا إلى جهة الكفار، وطلبوا البراز فلم يبرز لهم أحد، فظن المسلمون أنهم هزموا، فاجتمع رأيهم على الهجوم عليهم مرة واحدة، فما يشعروا إلا والكفار ألتفت بهم من كل جانب، فعند ذلك صرخ الإمام صرخة عظيمة اهتزت منها الجبال، وقال 《الله أكبر يا حزب النبي المختار، بادروا إلى الكفار، واعملوا في طاعة الرحيم الرحمن.》 ، فعند ذلك قويت قلوب المؤمنين، ونادوا بأعلى صوتهم قائلين 《إن الله وعدنا النصر المبين.》 ثم تصادموا بالسيوف، والسنان.

فلله در الأمير مقبل فقد جاهد في الطاعة، وأظهر الشجاعة، وهاج في المئات والألوف، وكم جندل من الأبطال، وكم جال في الكفار يقطع فيهم بالصارم البتار، وأما أمير الجيش فإنه صار يصول في الكفرة اللئام، ويقطع الجماجم وهو سكران بغير مدام، حتى صار الدم على يديه متجمدا مثل أكباد الإبل، والأمير عمر الخزرجي عن يمينه، والأمير علي الأنصاري عن يساره، وكل جماعة من المسلمين تختلط بعصابة من الكافرين، وهم ينادون الله أكبر، حتى كلت منهم الأجسام، وهزمت الكفار اللئام، وقد قتل من الكفار خمسة وأربعون ألفا، ومن المسلمين نحو خمسة آلاف، وعند انفضاض الحرب أمر الإمام رضي الله عنه حراس الجيش بالمراقبة، فأخذ يواري القتلى، وبيني لهم قبورا، فالذي وجد في القتلى من الأشراف عامر الأوسي، وعمار الخزرجي، وعيسى الكرعي، وإبراهيم الأموي، ويحى الخالد...والباقي من الأخلاط، وأقلهم سيد

في الدنيا والآخرة، وأما الكفار فإنهم جمعوا أمراء عساكرهم في مكان يدبرون فيه الحيلة، فقالوا لبعضهم ﴿ وحق المسيح والصليب والرهبان، أننا ما هزمنا إلا من إعجابنا بكثرتنا، ولولا ذلك لبلغنا المراد﴾ . فقال لهم حرفوش الكاهن: ﴿وحق المسيح ما قوى شوكة المسلمين إلا هذا الرجل الذي يدعى أميرهم محمد شبل، ومقبل بن نعمان، وإن فيهم نحو خمسين من أهل الشجاعة، والباقي لا يوجد فيهم من ينزل حومة الميدان، فقال الملك حردوب: ﴿ قد عزمت أن أخرج إليهم الفارس شملوط الأحمق يقتل شبلا، وغيره من الرؤساء، وبعدها نهجم عليهم هجمة منكرة، فنقطعهم عن آخرهم، وفي هذه الليلة بخروا أنفسكم بالبخور الأكبر فهذا وقته، وهو غائط البطريرك الكبير!.﴾ ،فلما أصبح الصباح بادر الفرسان لحمل السلاح، فطلب الملك حردوب رؤساء دولته، وخلع عليهم، ونقش الصليب في وجوههم، وبخرهم بالبخور المتقدم، ثم دعا بشملوط بن الأحمق فبخره، وحنكه، ونشقه، ومسح بالفضلة شواربه، وكان شملوط شنيع المنظر، وجهه كوجه الحمار، وصورته كصورة القرد وبعد ما تطيب قال له الملك حردوب ﴿إني أريد أن تبرز إلى الميدان، وتقتل شبلا ومقبلا﴾ . فقال: ﴿ سمعا وطاعة ﴾ ، وانصرف، وركب جواده الأشقر، وعليه ثوب أحمر، وحمل رمحا له ثلاث حراب، وتوجه مع الكفار إلى الميدان، وفيهم من ينادي ﴿يا أمة محمد لا يخرج منكم إلا الإمام محمد شبل الأسود﴾ ، فما استتم كلامه، إلا وصيحة في الفلا سمعها جميع الملا، وإذا هو الإمام محمد شبل، فلما برز رضي الله عنه، كان راكبا على جواد يشبه شارد الغزلان، وتوجه نحو الملعون، إلي أن صار عنده، فهز الرمح كأنه أفعى من الأفاعي، وأما الملعون شملوط فإنه أسرع بالرمح نحو الإمام، وكر عليه، ثم طوح الحربة حتى خفيت عن أعين الناظرين، وتلقاها باليد الأخرى، كفعل الساحرين، ثم رمي بها الإمام رضي الله عنه، فخرجت من يده كأنها شهاب ثاقب، فضجت المسلمون، وخافوا على الإمام رضي الله عنه، فاختطفها من الهوى كلمح البصر، فتحيرت عقول الورى، ثم إنه رضي الله عنه هزها بيده التي خطفها بها حتى كاد أن يقصفها، ورماها في الجو حتى خفيت عن أعين الناظرين، وأخذها باليد الثانية، وصاح رضي الله عنه، وطعنه بحربته في وسط الصليب الذي في وجهه، فوقع ملقى على الأرض، وخرجت روحه إلى النار. فلما رأي الكفار ما حل بهم، وبقتل الملعون شملوط بن الأحمق، ورأوه قتيلا أمامهم، لطموا وجوههم، ثم هجموا على الإمام رضي الله عنه، والتقت العساكر بالعساكر، ومازالت الحراب تنادي، حتى كلت الأيادي، وذهب النهار، وأقبل الليل، وافترق الجيشان، وقد امتلأت الأرض بالقتلى، وعظمت الجراحات، ولا يعرف الجريح ممن مات، ثم إن الإمام اجتمع بالأمير مقبل، وهناه السلامة، وقال ﴿إن الله فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين، ثم إنه رضي الله عنه أمر بنقل الجرحى لمحل الإقامة، ومواراة الشهداء، فمن وجدوه وحده بنوا عليه لحدا، ومن وجدوه بقرب جماعة من الشهداء جمعوهم، وبنوا عليهم لحدا واحدا رضي الله عنهم أجمعين، وأقاموا ثلاثة أيام على قبورهم.

<u>خطة الإمام</u>

وفي اليوم الرابع جلس رضي الله عنه، وأرسل إلى الأمير مقبل، فحضر وجلس معه، فقال رضي الله عنه ﴿أريد أن نجمع رؤساء المجاهدين الأربعة عشر، وبعضا من المشاهير الأشراف لأمر خطر لي﴾ .فقال: ﴿سمعا وطاعة لكل ما أردته يا سيدي﴾ ، فأحضرهم، وجلسوا جميعا، فقال الإمام رضي الله عنه: ﴿يا مقبل﴾ ، فقال: ﴿ لبيك﴾ ، فقال: ﴿معي مشورة، فإن وجدتوها صوابا فافعلوها، وإلا فامنعوني عنها﴾ ، فقالوا: ﴿ سمعا وطاعة ...﴾ فقال: ﴿يا مقبل خذ علي الأنصاري، وعمر الخزرجي، وسعد الدين، وخذوا معكم ثلاثين ألفا من المجاهدين، وسيروا نحو البحر مقدار ثلاث فراسخ، وأسرعوا في السير حتى تقربوا من الساحل بحيث يكون بينكم وبين القوم فرسخ أو أقل، واختفوا في وهدان الأرض بحيث لايراكم أحد منهم حتى تسمعوا ضجيج الكفار، وصياحهم وقد عملت بيننا وبينهم القواضب، فإذا رأيتم أن عساكرنا تفرقوا وراء كأنهم مهزومون وجاءت الكفار زاحفين عليهم من كل جانب، فكونوا لهم بالمرصاد، وإذا رأيت علما مكتوبا عليه "لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فارفعوا العلم الأخضر، وصيحوا قائلين "الله أكبر" واحملوا عليهم من ورائهم، واجتهدوا في أنفسكم لئلا يحول الكفار بين المنهزمين وبين البحر﴾ ، فقال: ﴿ السمع والطاعة ﴾ ، وقام في الساعة، وجهزوا، وأخذ الثلاثة أمراء الذين أمر بهم الأمير رضي الله عنه وكل واحد منهم أخذ عشرة آلاف ثم صاروا نحو البحر كما أمروا وهم شاكون السلاح منتشرون في البطاح، وأما الكفار فإنهم توجهوا إلى البحر كاشفين الرؤوس، ومعهم البطارق والقسوس، وقصدوا الساحل، وأحاطوا بالمسلمين من كل جانب، ونشروا الخيل في البر وعزموا على الكر، ولمعت سيوفهم، وتوجهت جموعهم، وطارت الجماجم، وقطعت المعاصم، وصاحت عساكر الإسلام بالصلاة على خير الأنام.

وصاحت عصابة الكفار بالصليب والزنار، وتأخر الإمام رضي الله عنه إلى الوراء، وتقهقرت الجيوش، وأظهرت الانهزام، وزحفت عليهم عساكر الكفر، واستهل أهل الإسلام بقراءة أول البقرة، وصارت القتلى تحت أرجل الخيل مندثرة، وصار الكفار يقولون ﴿يا عبدة المسيح إن عسكر المسلمين جنحوا إلى الفرار، فمكنوا السيوف منهم﴾ ، ولم يعلموا أن ذلك من حسن تدبير المسلمين، وصار شغلوب يبشر حردوب بالنصر على المسلمين، ثم صاح الملعون وقال ﴿خذوا بثأر شملوط﴾ فعند ذلك صاح الإمام رضي الله عنه ﴿ياعباد الديان اضربوا أهل الكفر والطغيان﴾ فرجع المسلمون على الكفار، ومكنوا منهم السيوف، ونادى المسلمون ﴿يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم هذا وقت رضى العزيز الغفار أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم حمل رضي الله عنه، ومن معه على الكفار وسد عليهم الأقطار، وهاجوا في الكفار فبينما هو على هذه الأوصاف وإذا بفارس مليح قد فتح الكفار ميدانا، وقد فزعت الكفار من حربه، ومالت أعناقهم من طعنه، فلما رآه الإمام رضي الله عنه قال له ﴿ من أنت أيها الفارس ؟ ، فلقد أرضيت بفعلك الملك الديان﴾ فناداه الفارس قائلا ﴿أنت بالأمس عاهدتني فما أسرع مانسيتني!﴾ ثم كشف اللثام وإذا هو بالأمير مقبل بن نعمان ففرح رضي الله عنه به فرحا شديدا ثم انطبقت عسكر الكفار، وقد أحاط المسلمون بهم من جميع الأقطار فهزموهم، وولوا

الأدبار، وركن إلى الفرار هو ومن معه طالبين ساحل البحر إلى المراكب، وإذا بعسكر الإسلام قد خرجت عليهم من تلك الجهات، ومقدمهم عمر الخزرجي وجال فيهم بالصارم البتار، ومالت فرقة من المسلمين على من كانوا في المراكب، وأوقعوا فيهم فيهم المعاطب، فرموا أنفسهم في البحر، وقتل منهم ما يزيد عن خمسين ألف، ولم ينج منهم إلا القليل.

وأخذ المسلمون مراكبهم بما فيها من الأموال، والذخائر، وغنموا غنيمة لم يغنمها أحد في سالف الأزمان ومن الغنيمة عشرون ألفا من الخيل المسومة خلاف الأموال، والأسلاب، وأما الكفار فإنهم لما دارت عليهم الدائرة ونفذت فيهم حكمة القادر، انقلبوا على أعقابهم قاصدين ملكهم حردوب.

فلما أقبلوا عليه، وأخبروه بما صار من المسلمين زاد نحيبه، وعلموا أنهم قد انحلت منهم العزايم، وندبت فيهم النوادب، وعلموا أن هزيمة المسلمين كانت خداعا، وقد أغمي على الملك حردوب فلما أفاق أرسل الملعون خرفوش وقال له ﴿ما عندك من التدبير قبل أن يحل بنا التدمير؟﴾ ، فقال: ﴿اعلم يا ملك أن ما عندي من الحيل إلا أنك ترسل للملك لوها يرسل لك أمه شوها بنت لوقا فإنها في الخداع أكثر من الساحرين، وفاقت الأولين والآخرين﴾

وبين مدينة لوها ومصر اثني عشر فرسخا وفي وقتها كتب للملك لوها ﴿ أما بعد فإن جيش المسلمين حضر عندنا، وكنا نصرنا عليهم فأعجبنا بكثرتنا فخذلنا، ولكن بركة غائط البطريق الأكبر حصلت معنا، ولو كان سيف المسيح سملوط بن الأحمق باق على قيد الحياة ما كان عندنا خبر من المسلمين، فالقصد أن ترسل أمك شوها بنت لوقا لعل بحضورها تتفرج كروبنا، وبركة والدها تحصل لنا، وإن أرسلتم معها جانبا من العسكر فيكون من مروءتكم، والتحية عليكم.﴾

<u>حيلة الملعونة شوها</u>

وأرسل هذا الجواب مع رسول، وبعد أيام خرج نفر من عند حردوب ينظر خبر شوها، وإذا بغبار ثار، وسد الأقطار، وانكشف عن عسكر مثل الجراد، ويقدمه الملعونة شوها، وكانت من الكهان، ماكرة، فاجرة، وقرأت كتب الإسلام، وسافرت مصر، والشام، واليمن، والصين، والهند، وفلسطين للاطلاع على الأديان، وتجمع ما تفرق عندها من البهتان؛ فهي آفة من الآفات ثم إنها صارت للملك حردوب ومعها كبار النصارى، فلما أقبلت عليه قابلها، وأجلسها على كرسي وقال لها ﴿أيتها الكاهنة ما عندك من التدبير؟﴾ فقالت: ﴿طب نفسا، واسمع ما أقول، ولاتهمل فيه، وأرح نفسك من المسلمين، ولو كان فيهم عنترة وغيره﴾ ، فقال: ﴿ السمع والطاعة﴾ ، فقالت: ﴿يا ملك... الصواب عندي أن تكتب لسائر الأقاليم من النصارى، وتطلب النصرة، والنجدة منهم لأننا في هذا الوقت بين رجا، وخوف. ولا ندري ما يفعل المسيح، فاكتب لكل إقليم جوابا صورته أن عسكر المسلمين حلوا بنا، ونهبوا أموالنا، ويتموا، أولادنا. فالعجل العجل قبل حلول الأجل.﴾

لما أمرت شوها الملك حردوب بأن يستنجد بالأقاليم كما تقدم طلعت خارج الخيام، وأخذت أصحابها، وألبستهم زي تجار المسلمين، وأحضرت لهم بضاعة مثمنة، وأخذت جوابا من الملك

حردوب مضمونه أن هؤلاء تجارا مسلمين من أرض الشام، وكانوا في بلادنا فلا ينبغي لأحد أن يتعرض لهم بسوء حتى يصلوا إلى بلادهم، ثم إن الملعونة قالت لمن معها من الرجال ﴿إني أريد(أن) أدبر حيلة يكون فيها هلاك المسلمين﴾ فقالوا لها ﴿ مرينا بما شئت﴾ .

فليست ثيابا من الصوف الأبيض الناعم، وحكت جبينها حتى صار له وسم، ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء مثل ضوء القمر، وكانت الملعونة نحيلة الجسم، غابرة العينين، وقيدت رجليها من فوق قدميها، وسارت حتى قربت من المسلمين ثم حلت القيد من رجليها، وقد أثر في ساقيها ثم دهنته بدم، وأمرت من معها من الرجال أن يوقعوا بها الضرب بالنعال، ويضعونها في صندوق، وقالت ﴿بعد أن تضعوني خذوا الصندوق معكم من جملة البضاعة، واحملوه على البغال، ومروا على المسلمين، وإن تعرض لكم أحد منهم فسلموا البغال وما عليها، وانصرفوا إلى أميرهم... وقولوا له كنا في بلاد الكفرة، ولم يأخذوا منا شيئا بل كتبوا لنا كتابا بمنع التعرض، فكيف أنتم تأخذون أموالنا؟!، ونحن من المسلمين، وجعلنا الإسلام نحن وإياكم أخوة كما قال تعالى في تنزيله الكريم، وهذا جواب الملك حردوب بمنع التعرض، واعرضوا عليه الجواب فإذا لامكم في تجارتكم مع الكفار، وقال لكم إن هذه إعانة لهم على الكفر فقولوا إن في ذلك لحكمة اقتضتها الأقدار، وكان في ذلك سعادة الدارين فإن قال لكم وما دخل الآخرة في التجارة فقولوا له قد تركنا فيها ثوابا أكثر من الحج والجهاد في سبيل الله فيقول لكم وما ذلك؟ فقولوا أجرى الله على أيدينا خلاص رجل زاهد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ عنه ثلاثة آلاف حديث غير الذي سمعه من عائشة رضي الله عنها، وعن أبيها، وعن الصحابة أجمعين، وقد كان في سرداب تحت الأرض يعذب فيه بأنواع العذاب آناء الليل، وأطراف النهار. فيقول لكم ومن الذي أخبركم به وهو في هذا المكان، فقولوا له إننا بعد أن سهل الله علينا بيع التجارة، واشترينا خلافها، عزمنا على السفر فأقبل علينا رجل، ودفع لنا فوجدنا فيه، يا مسلمون هل فيكم من يرغب في الأخرة، ويقصد وجه الله تعالى، ويفك أسيرا في سجن الكفار بدير يسمى دير مطروحين، واسمه عبدالله الغفاري، فإذا أردتم سعادة الدارين فاخرجوا من هذه الديار إلى جهة كذا، وسيروا ثلاثة أيام تجدوه مصفدا، وهو من أعبد الناس، وله كرامات تزيل الالتباس، قد خدعه بعض الرهبان، وسجنوه في هذا السرداب، وفي إنقاذه رضا الرحمن، ويغني عن الجهاد والحج فلما قرأنا الجواب، اشتاقت نفوسنا إلى السير نحو دير مطروحين (لم أقف على مكان بهذا الاسم بعد طول بحث، فلعل اسمه حُرِفَ على مدار التاريخ، أو لعلني لم أوفق في العثور عليه) "المحرر".

فسافرنا إليه، وقصدنا الصومعة التي فيها السرداب، فسمعنا من يقرأ القرآن، ويذكر الله، ويحمده، ولما سهل الله علينا فكه، أردنا أن نرجع من جهة أخرى، فرأينا الرجل الذي دفع لنا الجواب، وهو يبتسم في وجوهنا وقال لنا: فزتم بالسعادة فسيروا من هذه الجهة فإن فيها جيش الإمام محمد بن الفضل فهو سيف الله المحمود، والبطل المعدود الذي يفتح مصر القاهرة، وينال أعلى الدرجات في الدنيا والآخرة، ومعه الأمير مقبل بن النعمان مبدد الشجعان. فإذا أسمع منكم ذلك الكلام سر قلبه، وأكرمكم، واشتاق لرؤيتي، فإذا صرت عندهم، أعرف كيف أدبر حيلة يكون

فيها قتلهم عن آخرهم﴾ ، فلما تمت وصيتها أجابوها بالسمع والطاعة ثم شرعوا في ضربها حتى أشرفت على الهلاك، ووضعوها في الصندوق، وصاروا إلى عساكر الأمير محمد شبل رضي الله عنه ومن معه. هذا ما كان من أمر الكاهنة الفاجرة.

وأما المسلمون فإنهم لما نصرهم الله على أعدائهم، وغنموا ما كان للكفار في المراكب، واخذوا الخيل وغيرها، وتركوا الحرب أياما يستريحون من قتال الملاعين، وصاروا يهنئون بعضهم بعضا بالسلامة، ثم أمرهم الإمام محمد شبل رضي الله عنه بالدنو إلى مصر القاهرة، فابتدروا الطاعة، وساروا قاصدين إليها، فوصلوا إلى مكان بينه وبينها نحو فرسخ فإذا هو فسيح، وفيه عيون نابعة، وثمار يانعة كأنها جنة أخذت زخرفها، واجتمع فيها عزوبة الماء والتسنيم.

قال الأمير مقبل رضي الله عنه ﴿يا سيدي إني سافرت إلى جهات كثيرة فلم أجد مثل هذا المكان المنير.﴾ ، فلما رأى الإمام رضي الله عنه نفوس الجيش مشتاقة لهذا الموضع أمر بنزوله فيه، وقال ﴿اجعلوا الإبل هاهنا، والخيل.﴾ فامتثلوا لما أمرهم، وبركت الجمال في الجهة التي أشار إليها، فسميت البركة، واشتهرت بهذا الاسم، (تقع البركة حاليا في حدود مركز شبين القناطر، القليوبية، ولها مسميات عدة فقد وردت باسم جب عميرة، وكذلك بركة الحاج أو الحجاج، نظرا لتجمع قوافل الحج بها، ويقال أنها سُمِّيَت بالبركة نظرا لانخفاض أرضها...رمزي. القاموس الجغرافي) ومن عهدها صار يبرك فيها الإبل، وتسمى بالبركة إلى وقتنا هذا، والجهة التي لجأ إليها الخيل سميت"لجأ"، وهي مشهورة بالألج (لم أفلح في العثور عليها) ، ثم سار رضي الله عنه إلى جهة فسيحة وقال ﴿انصبوا الخيام هنا، فإنه مكان فسيح يسع المرج، فمن عهدها يسمى المرج (وهي قرية قديمة اسمها الأصلي مرج مخلف، من توابع بركة الحاج...رمزي. القاموس الجغرافي)، وإلى الآن تجد هؤلاء الجهات الثلاث(المرج، الألج، البركة).

فلما استقروا بهذا المكان سمعوا صياحا، وأصواتا عاليات فقال رضي الله عنه ﴿ما الخبر؟!، فقالوا ﴿ تجار من الشام كانوا بهذا المرج لأجل الراحة، فلعل بعض العساكر تعرض لهم حيث كانوا في بلاد الكفار...﴾

وعما قليل أقبلوا على الإمام رضي الله عنه وهم يستغيثون، فأمر بإحضارهم بين يديه، وقال ﴿ما شأنكم؟!﴾ فقالوا ﴿ إنا كنا في بلاد الكفار، ولم يتعرضوا لنا بسوء وهم أعداء لنا فكيف ينهبنا المسلمون، ويأخذون بضاعتنا؟، ونحن أقبلنا عليكم قاصدين، نحتمي بجمالكم، فصال علينا بعض الجنود، وأخذوا بضاعتنا، وأوجعونا ضربا، وظنوا أننا من الأعداء.﴾ ، ثم أخرجوا كتاب حردوب الملعون، الذي دبرته الملعونة بمكرها، فأعطوه إياه فقرأه، ورده إليهم وقال لهم ﴿سيروا ولكم ما أخذ منكم، ولكن لا ينبغي لكم أن تبيعوا بضاعتكم للكفار، فإن في ذلك إعانتهم، وتقويتهم.﴾ فقالوا ﴿والله ياسيدنا إنا ظفرنا من بلادهم بشئ ما ظفر به أحد قبلنا!﴾ فقال رضي الله عنه ﴿وما الذي ظفرتم به؟﴾ فقالوا ﴿يا سيدنا ما نبدي لك حديثا إلا في خلوة لأنه إذا شاع ربما يسمعه الكفار، فيكون سببا في هلاكنا بعد التوجه عن حماكم...﴾ وكانوا قد خبأوا الصندوق في وسط بضاعتهم، فلما سمع رضي الله عنه ذلك منهم ظن أن فيه مصلحة المسلمين فقام رضي الله عنه في مكان بعيد عن الرجال، وأمر بإحضار الملاعين المتشبهين

بتجار المسلمين ومعه الأمير مقبل، فلما مثلوا بين يديه، انتهزوا الفرصة، وشرحوا له الكلام من أوله إلى آخره، ولم يتركوا منه شيئا، وكلما تحدثوا بكوا بكاء شديدا، والإمام رضي الله عنه يسمع كلامهم، والأمير مقبل كذلك. ودخل في قلوبهم صدق هؤلاء الكفار لأمر يعلمه الله، ورق رضي الله عنه إلى ذلك العابد الذي وضعه الملاعين، وأخذته الرأفة عليهم، وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم ﴿ هل احضرتموه معكم؟، أو تركتموه؟ ﴾ فقالوا ﴿ أحضرناه معنا، وقتلنا الراهب الذي في الدبر خوفا على أنفسنا، وأخبرونا أن في ذلك الدير قناطير من الذهب، والفضة، والجواهر الثمينة...﴾ فقال رضي الله عنه ﴿وأين العابد الذي وصفتموه؟﴾
فأحضروا ذلك الصندوق بين يديه، وأخرجوا منه تلك الملعونة، وكأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والنحول، وهي مكبكبة بتلك السلاسل والقيود، فلما نظرها الإمام ومن حوله من أمراء أهل الجهاد ظنوا أنه رجل من العباد الزهاد، لعنة الله عليها، وجبينها يضئ من الدهان الذي دهنت بها نفسها خصوصا وجهها، فبكى الأمير مقبل وجميع الحاضرين، ثم قبلوا يديها، وزاد اعتقادهم فيها.
ولا يخفى علينا أن الإمام كان يخبر بالمغيبات، والمكاشفات. فكيف جهل فعل الملعونة.
فالجواب أن المؤمن من شأنه التصديق، وإذا أراد الله أمرا هيأ له أسبابه، لنفاذ حكمته، فقد ورد ﴿إذا أراد الله إنفاذ أمر سلب من ذوي العقول عقولها إلى آخر الحديث...﴾ ثم إن الإمام رضي الله عنه أمر بإحضار الطعام لها فامتنعت وقالت ﴿إني لا أفطر منذ سبع سنين، وكنت في قيد الأقفاص! فكيف بعد أن من الله علي بالخلاص؟!﴾ ، ومكثت على هذه الحالة أربعة أيام وثلاث ليال مع كثرة صلاتها، وقراءة القرآن، والأوراد، فلما رآها الإمام بهذه الحالة ملأ قلبه حسن الاعتقاد، وأمر لها بخيمة وحدها، وأما الملعونون أصحابها فأخذوا بضاعتهم وبغالهم، وطلبوا الأمان من الإمام، وصاروا نحو مقصدهم.
وفي اليوم الخامس طلبت الطعام فأحضروه، فأكلت شقة عيش، وبعض ملح، وشربت جرعة، ونويت الصيام، فاشتاق لها الأمير مقبل فذهب لها في خيمتها، وأخذ معه الأمير قايد الخزرجي، والأمير خضر الجهني، ودخلوا عليها وهي تصلي، فجلسوا، ولم تلتفت إليهم إلى أن انتصف الليل، فأقبلت عليهم، وحدثتهم، وحيتهم، وبالجملة فقد أدخلت الحيلة عليهم، ولم يعرفوها لحكمة أرادها الله.
فقال لها الأمير خضر الجهني ﴿ نريد أن تحدثنا بسبب أسرك، وادْعُ لنا...﴾ فقالت ﴿ والله لولا أنكم أمراء من المجاهدين ماحدثت بشئ فإن الشكاية من فعل الحبيب أمر صعيب، غير أني أقول هو أني كنت في بيت المقدس مع بعض الأبدال، وأرباب الأحوال، وكنت أخدمهم بنفسي فلما من الله علي خرجت يوما نحو البحر أتوضأ، فحملني الماء، وصار تحت قدمي كالبرد اليابس، فعجبت نفسي، وغررت، فجمدت عيني، وتحولت عن خدمتهم، وحببت نفسي إلى السفر إلى جميع الجهات فجلت الأرض شرقا، وغربا، وجنوبا، وشمالا حتى وصلت إلى ذروة جبل، فوجدت هناك ديرا يسمى دير مطروحين، وفيه راهب، فلما رآني خرج إلي، وقبل يدي وقدمي، ثم أخذ بيدي وأدخلني الدير، ثم دخل بي في بيت مظلم، وغافلني، وأغلق الباب،

وتركني أربعين يوما، ولم يأتيني بشئ من الطعام، ولا الشراب، بقصد موتي، ثم دخل على بطريق يسمى دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان، وابنته تسمى الجوهرة اليتيمة، في غاية من الحسن والجمال ثم إن الراهب أخبر البطريق دقيانوس بخبري فقال ﴿أحضروه﴾ فلما رآني بهذه الحالة قال ﴿إنه ساحر فاضربوه ضربا شديدا...﴾ ودقيانوس ضرب وجهي بنعله، وأمر بضربي، ووضعي في السرداب، وفي كل أسبوع يرموني بقرصة شعير، وشربة ماء، وفي شهر يأتي الملعون ليزور ابنته في هذا الدير، وقد وضع عندها أموالا، وذخائر من اللؤلؤ، واليواقيت، والجواهر، وقد رأيت فيه من المعادن، والتحف ما لايحصى عددهم إلا الله تعالى، ويااليت هذا المال عند إخواننا المسلمين يستعينون به على هلاك الكفار، وفي هذا الشهر كنت متضرعا إلى ربى فسمعت هاتفا يقول ﴿قد جاء الخلاص من ضيق الأقفاص...!﴾ فبعد خمسة أيام أقبل هؤلاء التجار على الدير، وتحيلوا في خلاصي فقلت لهم ما دلكم علي؟﴾ ، ثم حدثت بمثل ما قد دبرت لأصحابها ثم قالت ﴿ وتركت الدير ما به أحد غير بنت دقيانوس فإنها في مكان لم تعرفه التجار، وهناك الذخائر، فقال لها الأمير مقبل ﴿وتركتم الديار خالية؟!﴾ قالت الملعونة ﴿نعم﴾ ثم إن الملعونة لما رأت الأمير مقبل استفهم عن الدير، أخذت بفراستها أنه قد مال للأموال، وابنة دقيانوس، فقالت ﴿وإن شئت تشاهد هذا الأمر خذ معك ما تريد من الرجال، وخذوني معكم، وأنا أدلكم علي جميع ما في الدير فخذوه غنيمة لكم، وأما بنت دقيانوس فإنها لاتصلح إلا للأمير مقبل!﴾

فلما سمعوا كلامها أخذوه قضية مسلمة، إلا الأمير إسحاق الحجازي فإنه أنكر عليها سرا، ثم تركوها في خيمتها، وساروا حتى أتوا الإمام رضي الله عنه، فوجدوه يتوضأ لصلاة الصبح، لأن الأمير مقبل مكث عندها إلى طلوع الفجر، وهي تحدث بما ليس له أصل، فتوضأ الأمير مقبل وصلى مع الإمام رضي الله عنه وقال ﴿يا سيدي أريد أن أحدثك بما سمعت من العابد في هذه الليلة﴾ ، فقال ﴿حدثني، ولاتطل فإني عازم على دخول مصر في هذا اليوم إن شاء الله.﴾ فقال ﴿إن قصدي أن تقيم هنا يوما لأن في حديث العابد ما يوجب الإقامة يوما أو أكثر.﴾ فقال رضي الله عنه ﴿لأي شئ؟﴾ فشرح له الأمير مقبل كلام العابد من أوله إلى آخره، فتبسم الإمام رضي الله عنه في وجه الأمير مقبل، وقال ﴿ما أردنا الجهاد في سبيل الله لأجل ذلك يا مقبل... ﴾ فقال له ﴿يا سيدي وأي كلفة علينا في ذلك؟ ونحن أحق به من الكفار.﴾ فقال رضي الله عنه ﴿إن كان صدرك مشروحا لذلك فافعل...﴾ فقال الأمير مقبل ﴿يا أمير الجيش أريد أن آخذ مائة من البغال لحمل الأموال من الدير، ومائة من المجاهدين ونسير على بركة الله تعالى...﴾ وكان الإمام لا يراجع مقبلا، لأنه لم ير في مشورته إلا الصواب، فأرسل الإمام رضي الله عنه إلى الأمير علي الأنصاري فحضر فقال له ﴿في غداة إن شاء الله، ادخلوا مصر، وأنت عوض عني فيما يشيره الجيش﴾ ، لأن الإمام رضي الله عنه رأى في رأيه الصواب، ثم قال رضي الله عنه، ﴿ وأنت ياعمر عوض عني في القتال، وكان قد حضر عنده، وأما أنا فلا أتخلف عن الأمير مقبل، فلربما يسمع الكفار بما صار في الدير، ويحضرون إليه على غفلة، وإذا وجدتم الكفار مستعدين للقتال، فلا تشيعوا أنني غائب عنكم لئلا يطمعون فيكم، وألصق جوادك بجواد

أخيك علي الأنصاري والله معكم.﴾ فقال الأمير مقبل ﴿إن بقى الجيش هنا حتى نحضر من السفر أولى، وإن كنت عازما على السير معنا إلى الدير، فيقيم الجيش هنا حتى نحضر، وإن أردتم السير إلى مصر فلا تبرح عنه، فإنه لايزال منصورا بهمتك العالية، وأنا أسير إلى الدير ببركة دعائك، ونعود سالمين.﴾ فقال الإمام رضي الله عنه ﴿والله يا مقبل ما شُرِح صدري للمسير للدير، ويكفينا ما غنمناه! ﴾ فقال له الأمير مقبل ﴿أريد منك أن تطيعني في هذه المرة! ﴾ فقال الإمام ﴿حيث عزمت فلا أتخلف عنك...﴾ فقال له ﴿إذا فيقيم الجيش حتى تنصروا... ﴾ فسكت الإمام رضي الله عنه، وعلم مقبل من الإمام أنه رَاضٍ، فانتخب مائة فارس، وساروا إلى ذلك الدير، وأخذوا العابد اللعين معهم، فلم يزالوا سائرين حتى أقبل الليل، فقال الإمام رضي الله عنه ﴿أين الدير؟!﴾ فقال مقبل ﴿كل آتٍ قريب...!﴾ فقالت الملعونة ﴿والله إني وصلته في لحظة مع ضعف قوتي...!﴾ فاغتاظ الإمام من العابد وقال ﴿أنت كريم على الله، وليس لنا عنده كرامة...!﴾ فقالت ﴿ياسيدي والله ما أريد بقولي شيئا، وإنما أخْبِر بالواقع، وإن شاء الله في ضحاوي النهار تصلوا الدير...﴾ ، وكانت الملعونة حين دبرت تدبيرها مع أصحابها، أمرت واحدا منهم أن يتردد عليها في كل يوم سرا، ولما علمت أن الأمير مقبل دخل مكرها عليه، أمرت الرجل أن يبادر إليها بطائفة من الكفار، ويكونوا في جهة الدير، ومازال الإمام سائرا مسيرة فرسخين فأمرتهم الملعونة بالنزول في مكان مُتَّسِعٍ، وكتبت كتابا لولدها لوها، وأرسلته مع سفيرها تأمره بإرسال عشرة آلاف رجل، ويسيروا ليلا، وينزلوا نحو الشعب قريبا من دير مطروحين، ويكمنوا لهلاك جيش المسلمين، فأنفذ ولدها أمرها، وما أشارت به.

ثم أن الملعونة سارت مع الإمام رضي الله عنه، ومن معه حتى دخلوا الدير، وأخرجوا ما فيه من الأموال، والذخائر، ووضعوه في صناديق فقال لها الأمير مقبل ﴿أين الجوهرة اليتيمة بنت دقيانوس؟!﴾ قالت ﴿لما علمت بنا هربت في الجبال، وإن شاء الله نتحصل عليها...﴾ فقال الإمام رضي الله عنه ﴿يا مقبل كفاكم ذلك، وسيروا لإخوانكم المجاهدين فإني مشغول عليهم...﴾ ، فساروا إلى أن وصلوا إلى باب الشعب، وإذا بالعشرة آلاف التي أرسلها الملعون لوها لأمه، وقد ملكوا باب الشعب، فقاموا على المسلمين، وأحاطوا بهم من كل جانب، وجردوا السلاح، ونزلوا عليهم بالرماح، ونظر الإمام إلى ذلك الجيش، فوجده قد ملأ الأرض، فتعجب الأمير مقبل من ذلك الجيش، وصار يضرب بالسيف، ويرمي الرماح، ويقول ﴿لوعلمت ذلك لأحضرت عشرة آلاف مجاهد...﴾ فقال الأمير عمر الخزرجي ﴿لو حضر الجيش كله معنا ما نفع مع هذا الشِعب الضيق...فأسرعوا لنخرج من ذلك الشِعب قبل أن يهجموا علينا، فيسبقونا إليه، فيرمونا بالحجارة على رؤوسنا...﴾ فلما نظرت الملعونة لسرعة سيرهم، اخترعت كلمات ألهمها الشيطان بها فقالت لهم ﴿ماهذا الخوف، وقد بعتم أنفسكم في سبيل الله، فاصبروا، وعلى مهل قاتلوا، فمن قتل منكم فالجنة مأواه، فلما سمعوا كلام الملعونة، اطمأنوا في السير، وقاتل الرجال، وقاتل المسلمون أشد القتال، وصار الإمام رضي الله عنه يقاتل في سبيل الله حتى قتل منهم ما لا يحصى عدده إلا الله، وبينما هو كذلك إذ نظرت الملعونة وهي تشير على الكفار بقتل الإمام رضي الله عنه بإشارات خفية، وكل من خاف من الكفار تحرضه على قتل

الإمام، فتميل الكفار عليه ميلة يعد ميلة، واستمر القتال حتى أقبل الليل، فنزل الإمام ومن معه في مغارة في ذلك الشعب، وجلسوا فيها لأجل الراحة، وقتل من المسلمين ثلاثة وعشرون رجلا، ولما اجتمعوا مع بعضهم بحثوا على العابد فلم يجدوه، فقالوا 《لعله استشهد فبينما هم كذلك》 ، وإذا بها ،لعنة الله عليها، أقبلت عليهم، ومعها رأس كافر من الكفار المعدودة في الشجاعة، وكان قتله رجل من المجاهدين، فحزت رأسه، وادعت أنها بعد افتراق الجيشين صارت تجاهد حتى قتلت هذا الشجاع فصدقوها.

ثم قالت للأمير مقبل 《الكفار قد ملأوا الأرض، والرأي أني أذهب إلى جيش المسلمين، وأحضر معي قدر عشرة آلاف من المسلمين، ليكونوا كفؤا للكفار، فقال الأمير سالم 《كيف الوصول إلى جيشنا، والطريق مسدودة بالكفار...؟!》 فقالت 《يسترني الله عن أعينهم...》 فقال الأمير سعد 《صدقت أيها العابد...فإني شاهدت فيك ذلك ...》 فقال الأمير مقبل 《سر على بركة الله في أي وقت تريد؟!》 فقال 《أريد السير في هذا الوقت، وإن شاء سيدي محمد يسير معي حتى يخرج من جيش الكفار ويسير في واسع الفلا، ويمكن سيفه في رقاب الكفار فلا بأس بذلك، وإن شاء الأمير مقبل أخذناه لا غير لأن ظل الولي لايستر إلا اثنين!》 ، ومراد الملعونة هلاك هذين البطلين...فقال الإمام رضي الله عنه 《أنا لا أترك أصحابي في هذا المكان الضيق، وإن شاء مقبل أن يسير فلا بأس فيقيم هناك في الجيش مكاني، ويرسل لنا عشرة آلاف رجل...》 فقال الأمير مقبل 《حيث ظل الولي يستر اثنين فآخذ معي عمر الخزرجي، يكون معي ورفيقي في الطريق، وإذا وجدنا الجيش آمن من الكفار رجعنا إليكم، وإلا أقمت وأرسلت عمر الخزرجي بالعشرة آلاف...》 فأجابه الإمام لذلك ثم قالت الملعونة 《تمهلوا حتى أخرج قبلكم، وأنظر الكفار إن كانوا نياما أو يقظانين ...》 فقال الأمير مقبل 《نخرج معك وأمرنا إلى الله ...》 فقالت 《إذا فلا تلوموا إلا أنفسكم...》 وبعد ذلك مضت إلى الكفار وحدها، وقالت لهم 《إذا مررنا عليكم فلا تقربونا بسوء، ونفوتكم بميلين

أو أكثر ثم التحقوا بنا، وخذوهما أسارى لأني أردت أن أحضر أمير الجيوش معي فامتنع من ذلك.》 .

(.... انتهى الكراس الثالث، وبدأ الرابع بدون إكمال قصة الملعونة شوها مع سيدي شبل ولكن وحسبما ذكره الدكتور محمد عبدالستار عتمان في كتابة (محمد بن الفضل، وصفحات من تاريخ الشهداء) حيث كونه اطلع على مخطوط بخط الشيخ عبدالرزاق علي بن مصطفى الصباغ خطها بتاريخ ١٣٣٢ هجرية الموافق العام ١٩١٣ميلادية، حيث قال الدكتور بتصرف 《 وانصبت حيلتها على إغراء الجيش بالتوجه لدير مطروحين للحصول على مابه من خزائن ونفائس، ونجحت حيلتها حيث توجه بعض الأمراء إلى الدير، ومعهم بعض الجنود، ووقعوا في كمين نصبه لهم العدو هناك، إلا أن الإمام محمد بن الفضل سارع بإرسال الجند لهم...،

واستشهد الأمير مقبل، كما ذكرت مخطوطة الصباغ، نقلا عن الدكتور محمد عبدالستار عثمان، بمعركة محط الصفى (مكان لم يُسْتَدَلّ عليه، لعل اسمه قد تغير،المحرر.) بالقرافة الكبرى، بعد مبارزة مع حردوب استطاع فيها أن يصيب الأمير مقبل، ليثأر الإمام بنفسه، بمبارزة قوية،

استطاع فيها أن يقتل حردوب، وَيُكْفَي المسلمون شره، وأثناء المعركة هاجم الأعداء مقر الجرحى، وفيهم الأمير مقبل، ولم ينتبه الحراس إلى هذا الهجوم، فتمكن الأعداء من قتله، فاستشهد في الحال، وبنى الإمام عليه ضريحا عظيما بقرافة المقطم، وهو يكفكف دمعه رضي الله عنه حزنا على فراقه...(وقد أشارت كتب الزيارات إلى ضريحة بالقرافة، راجع ابن الزيات ٩، ١٤٤، ٢٤١ والسكري ص ٧٩، المحرر.). وبعد انتصار المسلمين بموقعة مطروحين، ومحط الصفى سيطر الجيش المسلم على منطقة الفسطاط، عاصمة مصر في عصري صدر الإسلام، والأموي.، 》 "المحرر".)

<u>معركة حلوان.</u>

(...) (ذكر الدكتور محمد عبدالستار عتمان في كتابه سالف الذكر، أن الإمام رضي الله عنه أرسل إلى قائد المتمردين بمصر العتيقة أن يتبعوه، ويتركوا الضلالة، فما كان منه إلا أن قتل الرسول، فكان ذلك سببا في معركة حلوان، حيث انسحبت جيوش الأعداء إلى الجنوب نحو خمسة أميال، وتبعهم الإمام.

ذكر الدكتور عتمان نقلا عن الغزالي بمخطوطة الصباغ...

《فوجدوا مكانا فسيحا، قد حوى من كل فاكهة زوجين، كأنه جنة الخلد في الرؤية، فأقاموا فيه يومين، فصاروا يأكلون من أثمار الفواكه التي فيه، ثم وجدوا كهوفا بالجبل من عسل النحل، ما لايحصى فأحضروا منها للإمام، ومن ثمر النخل، فأكل منها، وحمد الله تعالى، وقالوا: حلوى وحلوا، فنعم الحلوان، فمن وقتها تسمى حلوان...》

(كان أمير الجيوش(حسب رواية الغزالي) أول من اكتشفها وسماها، ثم اختطها الوالي الأموي عبد العزيز بن مروان كعاصمة موازية للفسطاط هربا من طاعون وقع بفسطاط مصر عام ٧٠ هجرية/ ٦٨٩ميلادية، إلى موضع حلوان الذي يبعد عن الفسطاط بنحو فرسخين، وبنى بها دورا، وقصورا، واستوطنها، وضرب بها السكة، ياقوت الحموي: معجم البلدان. ط.بيروت ص ٢٩٣-٢٩٤)"المحرر"

《بعد تلك المعركة كتب الإمام إلى أمير الجيزة حماد المقدسي لتزويد الجيش بالمجاهدين، وكان حماد من الحكام الذين ثبتوا على دين الإسلام بعد حدوث الفتنة في مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، تلك الفتنة التي أدت إلى ارتداد كثير غيره من القواد والعامة.

ولي حماد أمر القائد محمد بن الفضل، وأقام معسكرا عند أهرام الجيزة لتجميع الجيوش وتجهيزها، وتوافر له حوالي عشرين ألفا، ثم بعث الإمام يخبره أنه جيش الجيوش وجهزهم، وكان الباقي من جيش الإمام ثلاثين ألفا، وجمع معها عشرين ألفا غير الذي جمعه حماد، فصار الجيش جميعه سبعين ألف، فترك عشرين ألفا بالجيزة، وتوجه إلى محاربة عيهور...》 "من ذات المصدر سالف الذكر.

<u>فتح العريش، وبلبيس:</u>

<u>كما ذكر الدكتور عتمان نقلا عن مخطوطة الصباغ ١٩١٣:</u>

وفي هذه الأثناء استطاعت حسنا بنت عيهور أسر عمر الخزرجي، مسخرة قدراتها السحرية، وكان ذلك سببا في توجه جيش الإمام محمد بن الفضل إلى محاربتها، وكانت تقود جيشها بنفسها، وبارزت الأمير محمد بن الفضل الذي استطاع قتلها رغم مهارتها، وشجاعتها في القتال، وكان ذلك بداية لمعركة كبيرة خاضها الجيش الإسلامي مع جيوش هذه الساحرة.

واستشهد في هذه المعركة من المسلمين نحو ألفين، الأمراء والأشراف منهم ستة وهم سالم الهروي، وسليمان العامري، وسعد الخزاعي، ومحمود الصولجاني، ومسعود البدري، وسفيان المزني، وقتل من جيش الساحرة نحو العشرين ألفا.

وتم فك أسر عمر الخزرجي. لكن الأعداء سارعوا مرة أخرى في الهجوم حيث أتت إلى موقع المعركة جيوش جرارة مزودة بالعتاد، والدواب التي لم يتمرس العرب على استخدامها في القتال. وقد كانت هذه الجيوش آتية من جهة صاحب قلعة العريش عيهور الذي كان بينه وبين ابنته خمسة مراحل. واستطاع صاحب قلعة العريش بفعل السحر أن يخطف من الجيش الإسلامي ثلثمائة مقاتل، ومن الرؤساء عشرة وهم الأمير عامر مهدي، والأمير صالح الأموي، والأمير بشار الأفاقي، والأمير علي الأنصاري، والأمير جمال الدين، والأمير خضر العجمي، والأمير حازم الباكوري، والأمير عياد المدني، والأمير ثعلب الجراح، والأمير عنتر الخزاعي. وتحايل إسحاق الحجار غلام الأمير محمد بن الفضل لرد من اختطف من أفراد الجيش، وأخذ معه لمساعدته إبراهيم الكندي، وحسام الدين، وربيع الخراز، وسليمان المهدي، وعرف بحيلته موضع أسر المختطفين كما علم أن أخت الأمير محمد بن الفضل عاتكة أيضا قد تم أسرها بعد خطفها، واستطاع قتل ابن أخت عيهور الذي كانت عاتكة مأسورة عنده، وعرف من معاونيه سر الذخيرة التي كان يستعملها كأداة للسحر، والتغلب على الخصوم، وأخدها، ووظفها في التخلص من عيهور نفسه، واستطاع بعد ذلك أن يفك أسر من أسر من الأمراء والجنود، وأخذ ما كان لديه من الكنوز، ثم قتله في العريش.

وكان جيش الأمير سيدي شبل متمركزا أثناء هذه الأحداث في مدينة صان (إحدى بلاد محافظة الشرقية حاليا وهي من المواقع الأثرية المصرية القديمة، حيث يوجد بها مقابر ترجع إلى الأسرتين ٢١، ٢٢ وعرفت في العصر العثماني باسم صان الحجر) ".القاموس الجغرافي".وكان القائد عليه حماد المقدسي نيابة عن الإمام محمد بن الفضل .

وتحرك الجيش صوب الدلتا مرة أخرى وكانت تقابل الأمير محمد بن الفضل أهالي البلاد التي يمر بها، ويخبرونه بحالهم، وما حدث في بلادهم من ارتداد، وما يفعله بهم أعداء الإسلام نتيجة ثبوتهم على دين الإسلام، ومن مثل هؤلاء أهالي بلدة العسوف، وبلبيس ذات القلعة التي كان حاكمها يدعى بلابس، واشتد في غبن المسلمين، والجور عليهم ليرتدوا عن الإسلام، فكانت شكواهم للأمير محمد بن الفضل الذي سار بجيوشه إلى المدينة بعد ما أرسل لصاحبها يدعوه إلى الإسلام. لكنه لم يأبه، فأرسل لمحاربته عشرة آلاف جندي بقيادة علي الأنصاري، وكان الرئيس عليهم إسحاق الحجار، ونصب الجيش معسكره على بعد ميلين من القلعة، وتبارز

الجيشان وفي أثناء المبارزة تم أسر الأمير نصير، ويحيى الباهل، ووصل عدد الأسرى المسلمين عشرين أسيرا من أمراء المسلمين. وتحايل إسحاق الحجار في مقاومة فارسهم، واستطاع قتل الأمير بلابس، وعندئذ استسلم جيشه، وساروا نحو الإمام خاضعين فخيرهم رضي الله عنه بين الإسلام وبين القتل، فرغبوا في دفع الجزية، فامتنع وقال ﴿هذا في حق الذي لم يرتد عن الإسلام﴾ ، عند ذلك أقروا لله بالوحدانية ولسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة.

فتح قليوب، من مخطوطة الصباغ ١٩١٣كما نقلها الأستاذ الدكتور محمد عبدالستار عتمان بكتابه سالف الذكر.

بعد أن انتهى الجيش من فتح قلعة بلابس، والانتصار على صاحبها كان بينه، وبين قلعة قليوب نحو مرحلة، وكان صاحبها قد ارتد عن الإسلام بعد قتل الأمير محمد ابن أبي بكر. فتوجه الجيش إليها بقيادة عمر الخزرجي الذي صحبه الأمير حسام الدين-أحد موالي الإمام محمد بن الفضل- وبرفقتهم من الجنود خمسة آلاف، وبعث الأميرعمر طليعة من الجيش ينظرون الحال، ويتجسسون الأخبار، فلم يجدوا أحدا من أهل هذه المدينة، وكان صاحبها قد استشعر بقدوم الجيش إليه فأمر أهل المدينة بالتحصن داخل السور الذي يحيط بالمدينة، والذي كان يبلغ ارتفاعه نحو عشرين ذراعا، وبناؤه محكما في غاية الإتقان، وأضمر في نفسه أن يستمر في القلعة حتى يسير جيش المسلمين إلى ما هو سائر له، فلما لم يجدوا أحدا من أهل القلعة، رجعوا إلى الأمير عمر، وأخبروه بالمحصلة، ومكثوا حول المدينة عدة أيام وهم لا يعرفون ما الحيلة، فلما استبطأهم الإمام أرسل لهم مددا بلغ خمسة آلاف من الجنود، وظن أنهم مشتغلون بالجهاد، فلما اجتمع المجاهدون ببعضهم، ورأوا أنهم متمكنين من فتح القلعة، وكان أمير المدد الأمير عساف، وزير حماد المقدسي، وتشاوروا في أمرهم أن ينقبوا السور، وينصبوا أخشابا، ويصعدون عليها إلى أعلى السور، فصعدوا على سور القلعة، ونزلوا في وسط المدينة، وفتحوا الأبواب، وقتلوا الحرس، فلما أحس صاحب القلعة بذلك، وأدرك أنه لا محالة من المواجهة، قال لقومه ﴿لا تقاتلوا الجيش حتى أبرز إلى مبارزة أميرهم، وعند قتله ميلوا عليهم ميلة واحدة، فلايبقى لهم آثار﴾ ، فأجابوه لذلك، وجعلهم صفوفا، وأراد أن ينزل إلى الميدان، فعاجله الأمير حسام، ونزل إلى الميدان لمبارزته وقتله، فملأ الرعب جنده، وجنحوا إلى السلم، وصدر أمر الأمير عمر الخزرجي بأخذهم أسرى إلى الإمام محمد شبل الأسود، وساروا إليه ومثلوا بين يديه. فقال رضي الله عنه ﴿ما ترغبونه في الحالتين إما الإسلام وإما الحمام؟﴾ فقالوا ﴿ اجعل علينا جعالة نؤديها في كل عام..﴾ فقال رضي الله عنه ﴿هذا لمن لم يسلم أصلا، وأنتم أسلمتم. ثم كفرتم بعد إيمانكم، فأنتم مرتدون، فاختاروا لأنفسكم ما فيه صلاحكم...﴾ فعند ذلك قالوا ﴿ آمنا بالله ...نشهد أن لا إله إلا الله، وأن سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.﴾ فعند ذلك أطلق سراحهم، وأرسل معهم فقهاء يعلمونهم شرائع الإسلام.

فتوحات إقليم البحيرة

١-الطرانة

بعد فتح قليوب توجه محمد بن الفضل وجنده غربا، وعبروا النهر، ووصلوا إلي إقليم البحيرة، فسار الجيش في أرضها إلى أن وصلوا إلى مدينة الطرانة(اسمها القبطي ترانوط، واشتق منها اسمها العربي، ووقعت بها موقعة بين عمرو بن العاص والروم)"رمزي.القاموس الجغرافي" وهي مجاورة للبحر الأعظم في البر الغربي(فرع رشيد)، وبينها وبين قلعة عيهور نحو مرحلة، فنزلوا بها، ووضعوا متاعهم، ونصبوا خيامهم، وجاء إلى أمير الجيش بعض من أهل المدينة، وقالوا له ﴿يا أمير الجيش إن مدينتنا هذه كانت أسلمت من الشك، والشرك فمن نحو عامين ظهر فيها النفاق والفساد، وصار أهلها يرتكبون الكبائر حتى وصلوا إلى الشرك، واتبع بعضهم بعضا، وصاروا لا يبالون بشيء، وكنا آمنين من شرهم فهاهم الآن قصدوا أذانا، ورغبوا أن نطيعهم في كفرهم، ونحن مؤمنون بالله ورسوله من عهد الخليفة عمر رضي الله عنه، ولكن لا نقاومهم، ولا نقدر على منعهم، فلما علموا بالجيش وقدومه أظهروا الصلاح، وأخضعوا الفساد لئلا يعلم حالهم، وهاهم عند مسير الجيش من ها هنا يعودون لما كانوا عليه، ولو كانوا ممتنعين عنا فما كان علينا منهم، إنما يريدون أن نتبعهم، وإلا نخرج من البلد، ونحن معيشتنا من أرضها، ولم يكن لنا طيب عيش في غيرها، وها نحن أخبرناكم عن أحوالهم، وكلما اقتضاه أمركم فافعلوه، وامنعوهم عنا...﴾ .

فعندئذ أرسل الإمام محمد إلى أمراء البلدة فحضروا صاغرين أذلة، وأظهروا المسكنة، فأمرهم أن يهيئوا مكانا للمجاهدين يقيموا فيه شعائر الإسلام، ويمكثوا عندهم حتى يتبين الحال، وأمر الأمير أبا عبدا لله محمد الخزاعي بالإقامة في تلك المدينة، وصحبته ألف مجاهد، وكان هذا الأمير من الأبطال المعدودين فأجابهم بالسمع، والطاعة، وأخذ ألفا من المجاهدين وأقام على أهلها...﴾

<u>٢- أهل أتريس وفتح وردان</u>

بينما الأمير في سيره إلى قلعة عيهور جاءه قوم من أهل أتريس (قرية بها دير قديم تابعة حاليا بمحافظة البحيرة)"القاموس الجغرافي".، وهي قرية مشهورة بينها وبين الطرانة نحو فرسخين. وقالوا له ﴿إنا آمنا برب العالمين، وحمدنا الله على أنعامه، وبحولنا قرية تسمى وردان، فانقلب أهلها على أعقابهم، وطمعوا في كفر من حولهم من القرى، فأرسلوا إلى أمير بلدتنا يخاطبوه في ذلك، فسخط عليهم، وكتب لهم ما يسؤهم، لأنه كان من أهل الشجاعة والبراعة، فلما عمل بضد مأمولهم، وهم يعلمون شجاعته أعرضوا عنه، وصار كل يعمل على شاكلته، ولم يصل إلينا من ضررهم شئ، وفي العام الماضي مات أميرنا فطمع الأعداء فينا، وأرسلوا إلينا بما هو قصدهم، وعرفونا أننا إذ لم ترجعوا إلى دين آبائنا، وإلا يخرجونا من ديارنا، ويأخذوا أموالنا، فلما رأيناهم مصرين على هذه المقاصد القبيحة، ونحن لا نقاومهم، ارتحلنا من أرضنا وقاية لأنفسنا، وتركنا عندهم متاعنا، وديارنا، ولم ندر ما فُعِل بأموالنا، وقد فارقنا ديارنا، ونحن في غاية الضيق من العيش، وصارت حالتنا كالة، وصروف الدهر متراكمة علينا، فلما سمعنا بخبركم جئنا لنعرض عليكم حالنا...﴾ فلما سمع الأمير قصتهم أمر الأمير عمر الخزرجي أن يأخذ معه ألفا من المجاهدين، ويسير صحبة هؤلاء إلى وردان، وقابلهم

أهلها بالنشاب، والنبال، فهجم عليهم هجوما شديدا، فما كان منهم إلا أن جنحوا للسلم. ووقعت هذه المعركة في التاسع من ذي الحجة ٣٣ هجرية/ ٦٥٣ميلادية، واستشهد فيها من المجاهدين خمسة دفنوا في موضع واحد، أنشئ عليه ضريح عرف بضريح"خمسة وردان" كما أنشئ بالموضع مسجدا للصلاة، وأصبح ضريحهم مزارا، ويحتفل بهم الصوفية في كل يوم عرفة، يوم استشهادهم.

فتح قلعة علقام المخاوي

رجع عمر الخزرجي ومن معه من الجنود إلى الطرانة، فوجد الجيش قد تحرك إلى علقام المخاوي(بلدة تابعة لمركز كوم حمادة، البحيرة، وهي من القرى القديمة، وردت في معجم البلدان)"القاموس الجغرافي"، فترك الجرحى عند أميرها عبدالله الخزاعي، ولحق بالجيش عند قلعة علقام، وكانت قلعة حصينة، وكان صاحبها قائدا قويا، شديدا، يجيد القتال على ظهر الفيل، واستعد لملاقاة جيش الأمير محمد بن الفضل فجمع الجنود من الجهات التي كانت في طاعته، وأرسل إلى أقرانه من أصحاب القلاع، والحصون مثل"نون"، و"لوها"، و"عيص" بطلب معاونتهم، فأجابوه فيما عدا لوها، ولكن أمه شوها، أبدت النصيحة بعدم مواجهة الجيش، ونصحته بتسخير الجن حتى يشغل الأمير محمد بن الفضل عنه، فيشير إلى ما هو قاصد إليه من قتال عيهور صاحب الحصن، فأطاع أمرها لكن الأمير تغلب على هذا بما سبق له معرفته من هذه الحيل من قلعة العريش، واستطاع أن يقتل صاحب قلعة علقام، وأسلم أهل القلعة، وشهدوا بالوحدانية.

قلعة العيص

بعد ذلك سار الجيش إلى قلعة العيص(لم أقف على ما يُسْتَدَلّ به على موقع تلك القلعة، لعله لضعف الآلة، أو تغير الأسماء بتعاقب الازمان...المحرر)، وهذه القلعة تبعد عن قلعة عيهور التي كانت بمنطقة دمنهور حوالي مرحلة، وكانت مجاورة للبحر الأعظم(فرع رشيد)، وأرسل الأمير محمد بن الفضل لصاحبها يدعوه إلى الإسلام وكان الرسول هو عامر الكراعي، لكن صاحب القلعة لم يمتثل، وهدد، وتوعد فكانت الموقعة التي بدأت بمبارزة الأمير عمر الخزرجي للعيص صاحب القلعة، واستمرت المبارزة نهارا كاملا، وفي اليوم التالي رُتِّبَت الجيوش، ونزل لمبارزة الإمام شبل الأسود بنفسه، فقتله شر قتله، بعد أن رفض النصيحة التي وجهها له الإمام محمد بن الفضل.

وحمل المجاهدون على الجيش حملة واحدة، فكسرت شوكتهم، وطلبوا الأمان، وعرض عليهم الإسلام، فأسلموا جميعا، ودخل المجاهدون القلعة، وبعد فتح قلعة العيص، سار الجيش إلى مدينة شرنوب(من القرى القديمة التابعة لمركز دمنهور، البحيرة) وفي طريقه فتح ثلاث قلاع أخرى عرفت بأسماء أصحابها العو، والفار، والدن.

وقد فر العو بقدوم الجيش الإسلامي، واقترابه من القلعة، بعد حمل ما يقدر من كنوز، وأما الدن فجاء إلى قلعة العو، وترك قلعته، وواجه الأمير الأنصاري الذي كان في طليعة الجيش، ولم

يأبه بالدعوة التي وجهت إليه ليشهد لله بالوحدانية، وللنبي بالرسالة، ووقعت معركة بينه وبين الجيش الإسلامي قتل فيها، وفر أصحابه واستولى الأمير علي الأنصاري وجنده على القلعة.
ثم سار الجيش إلى قلعة الفار، فوجدوا صاحبها قد تهيأ للرحيل، ونوى الهزيمة يريد قلعة صاحبهم الكبير عيهور، فعندئذ رجع الجيش إلى قلعة العيص، لإخبار القائد محمد بن الفضل بما حدث، (وقد انعكست هذه الأحداث التي وقعت في هذه القلاع على أسماء البلاد التي وقعت في هذه القلاع على أسماء البلاد التي كانت بها فَعُرِفَتت البلاد الثلاثة التي بها القلاع المذكورة بدنشال(قرية قديمة، تابعة بمحافظة البحيرة، مركز دمنهور وهي بلدة عامرة بها جامع، وحمام، وكروم كثيرة"القاموس الجغرافي")، والعوجاء، وفارنوي(قرية قديمة تابعة لمحافظة البحيرة وبها جامع وسوق"القاموس الجغرافي")

<u>فتح قلعة عيهور/</u>

بعد الانتهاء من فتح القلاع السابقة، اتجه سيدي شبل الأسود الإمام محمد بن الفضل بجيشه إلى قلعة عيهور، وعند الاقتراب منها، وجد صاحبها، وجيوشه مستعدين للقائه، وقد نصبوا خيامهم خارج القلعة، فما كان من الإمام إلا أن اختار لجيشه معسكرا يبعد نحو ميلين عن جيش خصمه، ثم أرسل إلى عيهور برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، وحمل الرسالة إسحاق الحجار، فأخذ منه الكتاب، وحاول إرهابه، ورفض الاستجابة، وبدأت المبارزات بين فرسان الجيشين، وتقدم هزاع ابن عم عيهور لمبارزة الإمام، الذي عاجله بضربة هاشمية قتلته، ولما رأى عيهور ذلك ارتعدت فرائصه، وزج بأخي هزاع للمبارزة طلبا لثأر أخيه، فقتله الإمام أيضا، وتوالى الفرسان على مبارزة الإمام نهارا كاملا، وعاد كل إلى معسكره.
وفكر عيهور بالتحصن بقلعته التي فيها من المؤن ما يكفيه لعام، وعندئذ سيرحل الإمام بجيشه، ومن جهة آخرى أراد الاستعانة بالذخيرة السرية التي كانت لدى صاحب قلعة العريش، دون أن يعلم أنها أصبحت في ملك المسلمين بعد الاستيلاء على هذه القلعة، وفتل صاحبها، كما أنه أرسل إلى لوها يطلب مشورة أمه شوها، وتدبيرها للتخلص من الإمام وجيشه، فلم تحضر لسابق معرفتها بقوة الامام وجيشه، وفساد تدبيرها السابق معه.
فلما فشل في الحصول على عون أصحابه، أغلق أبواب حصنه، وأما الإمام فقد أمر الأمير جمال الدين الخزاعي، والأمير محمد العراقي، والأمير عبد الله العجمي أن يأخذوا ثلاثة آلاف مقاتل من المجاهدين ويسيروا ليلا إلى الحصن، ويكمنوا قريبا منه، ويترقبوا فتح أبواب الحصن، فأجابوه بالسمع والطاعة. وكان عيهور قد بعث برسول للإمام طالبا عقد الجزية عليه، فسلم الجواب للإمام الذي استمهله الرد، فلما فتحت الأبواب للرسول لاستلام الرد، كتب له الإمام أن لاتجوز الجزية على مرتد مثله، فهي للكافر الأصلي، فإما الإسلام أو القتل.
فعند دخول الرسول إلى الحصن، فما يشعرون إلا وجيش الإمام قد اقتحم الحصن وانتشروا بشوارع المدينة كالجراد، ولما رآهم عيهور يجزون رقاب الكفار مثل الليوث الضواري، تحرف جهة قلعته ليحتمي بها، فعاجله الإمام بضربة هاشمية قتلته، فارتعدت فرائص جنده،

واستسلموا، وطلبوا الأمان، وأسلموا، ومنع عنهم الإمام القتل، وأقام بالحصن عدة أيام، وكان هذا الحصن بموضع مدينة دمنهور.

عودة لمخطوطة أبي جمالة ١٩٥٣

.بداية الكراس الرابع إلا أنه بدأ بداية منقوصة، ولعلها جزء من رسالة أرسلها سيدي الإمام إلى الطاغية عيهور"المحرر"

﴿ (...) بأنفسكم قبل أن يحل بكم العذاب﴾ ، فتوجه الأمير علي الأنصاري إلى القلعة، وركض جواده حتى صار في وسط القلعة، وضرب فيهم بالسيف، ولحقه الأمير عمر الخزرجي ومن معه من المجاهدين، فما مضت ساعة حتى هزموا، وجنحوا للسلم، وألقوا أسلحتهم، وسلموا في أنفسهم، فكفوا عن قتلهم، وأما العو فَقُتِل هو وخواصه، ودخل المسلمون القلعة، واستولوا على ما فيها، ثم ساروا إلى قلعة الفار، فوجدوه تهيأ للرحيل، ونوى الهزيمة يريد قلعة الملك عيهور، ثم إن الأميرين رجعوا إلى الجيش بقلعة العيص، فدخلوا عليه وأخبروه الخبر، لذلك سميت البلاد الثلاثة (دنشال، والعوجا، وفارنوي)

ثم إن الإمام رضي الله عنه أمر الجيش بالمسير نحو قلعة عيهور فساروا حتى وصلوها، فوجدوا خيام الكفار منصوبة، وقد انتشروا حولها، فأمر الإمام بنصب الخيام بعيدا عن الكفار بنحو ميلين فكانت بالقرب من شرنوب فأقاموا نحو أسبوع، وفي اليوم الثاني كتب جوابا للملك عيهور وهذه صفته...

﴿من محمد شبل الأسود إلى عيهور نخبركم بأن الدين عند الله الإسلام، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه. وأنا أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أطعت فلك الجنة، وإن أبيت فالقتال، والله ينصر أحبابه، ويخذل أعداءه...﴾

وأعطاه إلى إسحاق الحجار فأخذه، وسار به إلى عيهور، وهو سائر على مهله، فأشار الملك بحضوره عنده فأعطاه الكتاب، فلما قرأه ضحك، وقال ﴿مثل شبل له جرأة على هذا الفعل؟!!﴾

فقال الأمير إسحاق ﴿إن الله وعده النصر،...﴾ فصرخ عليه الملعون وقال ﴿خذوه...﴾ فأخذوه

وسلموه للسياف فأرجأه، ثم أمر بحضوره فقال الأمير إسحاق ﴿لينصره الله﴾ فقال ﴿ولك قدرة تتكلم في مجلسي﴾ ، ثم صرخ مثل الأولى وقال ﴿خذوه للسياف...﴾ فوقف أمام السياف الذي اشتغل عنه بالكلام، فمكث مدة من النهار، ثم أمر عيهور برجوعه ثالثة، فقال له إسحاق الحجار ﴿لم تفعل معي هذا الفعل، وما ذنبي؟!﴾ فقال له الملعون ﴿أنا فعلت هذا الفعل لتخبر سيدكم به﴾ ، ثم قال ﴿ليس للملوك أن يقتلوا الرسل، وإلا قتلتك...﴾ ثم أمره بالانصراف فانصرف، وأخبر الإمام بما شاهد فرتب الإمام جيشه صفوفا، وميامن، وميامر، وجناحين، وقلب، ورتب الرؤساء محلاتها، ثم برز رضي الله عنه، وقال ﴿أنا الفارس الكرار، أنا محمد شبل...﴾ فبرز إليه الهزاع ابن عم عيهور وقال ﴿أنا آخذ ثأر العو الذي قتله رجالك...﴾ فما تم كلامه حتى ضربه الإمام في رأسه ضربه، ففلقها نصفين، فلما رأى الملعون عيهور ذلك؛

نزل الرعب في قلبه، وأنفذ له مناعا شقيق المقتول ليأخذ ثأر أخيه، وثأر العو، فتقاتلا طويلا ثم حملا على بعضهما فضرب مناع بضربة فحاد عنها الإمام، فخابت. فضربه الإمام بحربة جاءت تحت سرته فمرقت من وسطه ولم يشعر بها، وبعد برهة سقط وسطه الأعلى، وبقى نصفه الأسفل على الجواد.

ثم إن أحد الكفار رمى جواد الإمام بنبلة فأصابت ورك الجواد، فلما رأى الملعون ما حل بجنوده، ركب جواده، ونزل الميدان بعد أن كثرت رمم القتلى، وداست عليها الجنود بالقدم، فقال ﴿إلى كم تخاطر بنفسك يا شبل، ولم تعلم أني الملك عيهور صاحب القلعة، والسور، وقد قتلت هزاعا، ومناعا وغيرهما، فهل لك أن ترجع إلى بلادك، وأنا أسامحك فيما مضى...﴾ فقال الإمام ﴿إن كنت تريد منع القتال فأسلم أنت وقومك، وإن لم تسلم فدونك والقتال ياملعون، نصحتك فلم تقبل نصيحتي فدونك سيفي ورمحي...﴾ ثم حمل على الإمام فتلقاه بهمة قوية حتى مضى النهار، وافترقا ثم جمع قومه الملاعيين، وقال ﴿ما عندكم من الرأي في حسن الخلاص...﴾ فصار كل واحد منهم يبدي رأيا، فقال الملعون ﴿الرأي عندي أن ندخل الحصن، ونغلق الأبواب، وعندنا ما يكفينا مدة أعوام، فإذا طال عليهم الحال ذهبوا إلى سبيلهم...﴾ ثم كتب جوابين أحدهما إلى سعدون الشعبي ليحضر الذخيرة ليلبسها، ويختفي عن الأعين، ولم يعلم أن الإمام أخذها، وقتل سعدون وخاله فريد الدهر صاحب قلعة العريش.

والجواب الثاني إلى الملك لوها، ليرسل أمه شوها، لتدبر له أمرا في هلاك جيش المسلمين، فكتبت رد الجواب، وعرفت الملك عيهور بأنها بطلت حيلتها في أمر جيش المسلمين، وامتنعت عن الحضور، فاغتم غما شديدا، وصار متحيرا بين أن يسلم، وبين أن يعقد على نفسه جزية، فلما ضاقت عليه الأمور كتب إلى الإمام كتابا بعقد الجزية، ويمنع عنه القتل، فلما وصل الجواب إلى الإمام، علم أنه عجز بعد عتوه، وإذا لم يسلم له في الجزية، يدخلون الحصن، ويغلقوه عليهم، ويحصل الضجر للمسلمين، وينصرفوا عنهم، فوعد الرسول أن يعود إليه باكر للإفادة، فلما رجع الرسول لعيهور اطمأن، لذلك وظن أن الإمام رضي بذاك.

وأما الإمام فإنه بعد أن توجه من عنده الرسول، أمر الأمير جمال الدين الخزاعي، والأمير محمد العراقي، والأمير عبدالله العجمي أن يأخذوا ثلاثة آلاف فارس، ويسيروا ليلا إلى الحصن، ويكمنوا قريبا منه، ويترقبون مجئ الرسول ثانيا للإمام، فيكونوا متهيئين للدخول لئلا يغلقوا الأبواب، فأجابوه بالسمع والطاعة، ولما عاد رسول عيهور لأخذ الإفادة من الإمام كتب له الإمام أن الجزية لا تعقد إلا على أهل الكفر الأصلي، وأما على أمثالكم المرتدين، فلا أقبل منهم جزية، والمطلوب الإسلام، أو السيف، فأخذ الكتاب، وعاد إلى عيهور، ودخل من باب الحصن والسور، فدخل المسلمون وراءه، وساروا في شوارع المدينة كالجراد المنتشر، فلما رآهم الملعون يجزون رقاب الكفار مثل الليوث الضواري، تحرف إلى جهة قلعته، ليحتمي من القتل، فكان الإمام مارا قباله، فعاجله بضربة هاشمية أطاحت برأسه، فلما رأوه الكفار قتيلا ألقوا سلاحهم، وأظهروا الذل، وقالوا ﴿آمنا بالله ورسوله...﴾ فمنع عنهم الإمام القتل، وأعطاهم الأمان، ثم إنه رضي الله عنه أقام أياما بذاك الحصن، ولما كان القتل جار في نواحيها وصار

الدم يجري مثل النهور، سميت بهذا الاسم الذي هو دمنهور، الدم نهور غير أنهم حذفوا منه ال...التعريفية، وصاروا يقولون دمنهور، وهي الآن مدينة عمدة إقليم البحيرة.
ثم أمر الأمير حماد المقدسي، وترك معه جماعة من المجاهدين، وانتقل الإمام بباقي الجيش إلى البر الشرقي، ولازالوا سائرين وبذكر الله مهللين، وبحمده مسبحين، ولنعمة الله شاكرين إلى أن وصلوا مدينة سرسنا، فنزلوا بأرضها، ونزل، والمجاهدين بقلعة سرسنا، وكانت مدينة حصينة، بها قلعة، وصاحبها يدعى قرسنا، وكان جبارا يملك قلعة آخرى بينهما نحو خمسة فراسخ.
<u>فتح كنيسة بين نادر ودبركي ومنية الواط.</u>

فأقام الإمام يومان بسرسنا وفي اليوم الثالث جاءه مجموعة من الرجال، وقالوا له ﴿إن كنيسة بين منية الواط (الواط قرية قديمة وعرفت بمنشأة سلطان، بعدما طلب فتح الله باشا سلطان كبير أعيان القرية تغير اسمها بدعوى أن كلمة الواط مستهجنة، وأن تسمى منشأة سلطان إحياء لذكرى عميد أسرتهم، وقد وافقت وزارة الداخلية على هذا التغيير بقرار صدر سنة ١٩٣١"القاموس الجغرافي") ونادر(إحدى القرى القديمة التابعة لمركز الشهداء، بمحافظة المنوفية، واسمها الأصلي جزيرة نادر، القاموس الجغرافي"، ودبركي،(قرية قديمة اسمها الأصلي دبركه تابعة لمركز منوف) وفيها من الكفرة جمع كبير، وقد تزايد شرهم، وقد كانوا قبل ذلك مسلمين، فانقلبوا على أعقابهم بعد الهدى، وبدلوا نعمة الله كفرا، فالمرجو من همتكم منع هؤلاء القوم عن ضلالهم، وإلا كُفَّ شرهم عنا، وكل منا على طريقته.﴾
فلما سمع الإمام رضي الله عنه ذلك الكلام، تغير حاله، ونادى الأمير محمد العراقي فحضر عنده، فأمر أن يأخذ جماعة من المجاهدين، ويسير مع هؤلاء القوم إلى المكان الذي دلوه عليه، فأجابه بالسمع والطاعة، ثم أخذ من المجاهدين مائة فارس، وسار صحبة القوم، ولازالوا سائرين مع بعضهم حتى وصلوا إلى مكان بين قرية نادر، وقرية دبركي، ومنية الواط، وأشاروا إليهم نحو الكنيسة فإذا هي منيعة حصينة، مرتفعة البناء، مشيدة الجوانب، فأقبل الأمير محمد العراقي نحوها، ودار حولها، فلم يعرف لها بابا، فرجع إلى من معه من المجاهدين، وشاورهم بين الإقامة عندها، وبين الرجوع إلى الإمام رضي الله عنه فأشاروا عليه بالإقامة، حتى ينكشف لهم الحال، فنصبوا خيامهم، وجلسوا على بساط الأرض، واشتغلوا بما يسدون به رمقهم، والقوم الذين كانوا بصحبتهم ذهبوا إلى حال سبيلهم، فمكث الأمير محمد العراقي ومن معه نحو عشر أيام، وهم ينتظرون خروج أحد من الكنيسة المذكورة، ليعرفوا بابها، فلم يخرج منها أحد، فعسر ذلك على الأمير محمد العراقي، وقام ليلا، وتقلد سيفه، وأتى إلى الكنيسة، وتحايل على أن يتسور من ظهرها، فلم يجد سبيلا لذلك، فعاد إلى إخوانه الذين معه، وتشاوروا في هذا الشأن، فاستقر عزمهم على أن يرسلوا إلى الإمام رضي الله عنه، وكلما أمر به اتبعوه، فلما أصبح الصباح أرسلوا إليه رسولا، وعرفوه الحاصلة، وأوضح مجملها، وكان بينه وبين الإمام رضي الله عنه نحو فرسخين، فلما وصل إليه رضي الله عنه، وأخبره بذلك، قام رضي الله عنه

في أسرع من لمح البصر وركب جواده، وتقلد حسامه، وسار وحده، ولم يأخذ من المجاهدين أحدا معه، وسار صحبة الرسول الذي حضر إليه.
وكان ذلك الرسول إليه هو راشد شقيق الأمير محمد العراقي، فما مضى ذلك اليوم، إلا وهو عند هؤلاء القوم، فلما رآه الأمير مقبلا عليه، قام هو ومن معه لملاقاته، وقبلوا يديه، وجلسوا يتحدثون في شأن الكنيسة، وعجبوا من صبر من بها على عدم الخروج كل هذه المدة، فبينما هم كذلك، وإذا بالنبال قد خرجت إليهم من تلك الكنيسة من السور المحيط بها، وزاد الرمي بالنبال، والمسلمون لايعرفون مكانا يقاتلون منه، فلما تزايد الرمي، وصار يصيب غالبه، وقتل من المسلمين الأمير محمد العراقي وأخوه الأمير علي، والأمير راشد، ومن الأشراف الأمير يعقوب، والأمير سالم، وعسر ذلك على الإمام رضي الله عنه، فقام في الدجى، وتسور حتى صار فوق سطح القلعة فوجد الكفار منتبهين، متهيئين، للقتال، وهم كالجراد إذا انتشر، وبدأ قتالهم، ومع اشتداد القتال فتح أصحاب القلعة بابها، وخرجوا مسرعين بعد أن قتل الإمام سيدي شبل الأسود محمد بن الفضل منهم ما يفوق المائة، فلما صاروا خارج القلعة تلقاهم المجاهدون بالقتل، وفر منهم من وجد منفذا للهروب، وانتهت المعركة، وفي صباح اليوم تفقد الأمير والمجاهدون شهدائهم، فوجدهم نحو خمسين، والجرحى نحو ثمانين، وأما الكفار فقتل منهم نحو الألف.
وأمر الإمام محمد بموارة الشهداء، وأقام بالمكان ثلاثة أيام، وشيد ضريح للأمير محمد العراقي، وأخواه علي وراشد، والأمير يعقوب، والأمير سالم، وسميت تلك البقعة التي بين نادر، و دبركي، والواط (منشأة سلطان حاليا) بالعراقية(وهي قرية قديمة كانت تعرف بمنية الواط، وقد تغير اسمها إلى العراقية نسبة إلى الأمير الشهيد محمد العراقي رضي الله عنه، "رمزي:القاموس الجغرافي")

<u>فتح سرسموس</u>(وهي قرية قديمة تابعة لمركز شبين الكوم-المنوفية وقد ورد أن اسمها كان شموس)"القاموس الجغرافي"

بعد أن انتهى الأمير محمد بن الفضل من المعركة السابقة رجع إلى سرسنا، وبعد عودته أرسل الأمير جمال الدين، وألفا من المجاهدين إلى قرية سرسموس، لقتال الذين انقلبوا على أعقابهم، وارتدوا كافرين بها. وتوجه الأمير جمال الدين إليها، ونصب جنده خيامهم على مشارفها من كل ناحية، فلما رأى كفار البلدة هذا الحصار، أخبروا حاكمهم، وكان يدعى شموس، وكان شديدا عنيدا، فقال لقومه 《أنا أدبر حيلة...》 فقالوا له 《وما الحيلة؟》 فقال 《أقوم وأنزل في خيامهم، وأوري لهم الأمان، وأسألهم الرجوع إلى جيشهم، وليمهلون يومين حتى نصلح شأننا، وإذا أوعدناهم بهذا الوعد، جمعنا رجالنا، وأبطالنا، ودهمناهم على حين غفلة، قبل أن يستريحوا، فمحقناهم عن آخرهم...》

فأقروه على رأيه فما أن وصل خيام المسلمين فنشر لواء الأمان حتى صار في خيمة الأمير جمال الدين، ونادى وهو راكب فوق جواده ﴿يا أمير هذا الجيش، اكتفي شر شموس، وارجع إلى إخوانك، ولاتخاطر بنفسك وإن كان ولابد من القتال، فيكون بعد يومين، وتظهر الدائرات لمن هو أهلها....﴾
فلما قال ﴿اكتفي شر شموس ...﴾ تسمت البلدة بهذا الاسم إلى وقتنا غير أنهم حذفوا الشين في المضاف إليه(وفي زمننا حذفوا الشين من المضاف والمضاف إليه فكانت سرسموس"المحرر").
فلما سمع الأمير جمال الدين كلامه أراد أن ينصحه، لأن النصيحة شأن الأمراء، فلم يبخلوا بها، ولو على الأعداء، فقال ﴿ألا تسمع مني ياشموس؟﴾ قال ﴿قل وأنا أسمع...﴾ فقال له ﴿لو أتيت برجال أبطال عدد الحصى، والرمال فلا تستطيع القتال، ولا تبلغ الآمال، فإن شئت السلامة تسلم، وإلا فلا ينفعك الغرور، فيوقعك في الشرور...﴾ فقال له ﴿سمعت قولك، ولا أطيع أمرك، وإذا كان الموعد بعيدا فالقتال يكون باكر تاريخه، ويعطى السعد لأهله...﴾ فقال له الأمير جمال الدين ﴿إن شئت زيادة عن الموعد فلا بأس...﴾ وكان الأمير جمال الدين، واثقا في نفسه، ولكنه صدق مقالة شموس بأن يكون القتال بعد يومين، وظن أنه صادق في مقولته، وبينما المسلمون في صدد الأكل بعد المغرب، وليس عندهم خبر من الكفار، وإذا بهم أحاطوا بجميع خيامهم، ودارت الحرب، وظلت غالب الليل، ثم عاد كل جيش إلى جهته، واجتمع الأمير جمال الدين بباقي المجاهدين، وسألهم رأيهم في هؤلاء الكفار، وما لجأوا إليه من الخديعة فكان رأيه مباغتتهم كما فعلوا، فاتجهوا إليهم مرة أخرى، وقتل من العدو في هذه المرة عدد كبير، وفي اليوم الثاني، اجتمع المسلمون في الخلاء، وبعث الأمير جمال الدين إلى شموس يراوده في قتال النصفة، وهي واحد لواحد، وكل فئة تقف خلف صاحبها، وكان شموس صاحب شدة، وله خداع لا يطاق، فلما جاءه رسول الأمير جمال الدين، وأخبره بذلك الخبر، فرح وزاد سروره، وأنفذ فارسا من الكفار، وجعل الموعد في الصحراء خارج البلد بنحو ميلين، فلما أصبح الصباح، واصطفت الصفوف، برز فارس من الكفار، فلما صار في الميدان، وطلب المبارزة برز له فارس من المسلمين فقتله، وقتل عشرة آخرين ممن برزوا له من الكفار بعد ذلك، فما كان من شموس إلا أن دفع بابنه الأكبر للمبارزة، فقتل الفارس المسلم، وقتل الثاني، فاندفع الأمير جمال الدين بنفسه للمبارزة، فقتله، وقتل نحو ثلاثين، وأدى ذلك لهياج جيش الأعداء، فهبوا للقتال الذي كان النصر فيه حليفا لجيش المسلمين. واستشهد في هذه المعركة الأمير جمال الدين الخزاعي، ووارى المسلمون جثث شهدائهم، وجعلوا كل فرد في لحده، وكل جماعة في دائرة، وأما الأمير جمال الدين أشهروا مقامه، ولما علم الإمام باستشهاده حضر إلى القرية بعد أن أسلم أهلها، وطابت من الشرك، فلما دخلوا عليه فرحوا بقدومه، وخرجوا لملاقاته، واجتمعوا عنده فأقام بينهم ثلاثة أيام ثم عاد إلى قلعة سرسنا.
<u>فتح سلامون</u> (من القرى القديمة، واسمها الأصلي سلمون، تابعة لمركز الشهداء - منوفية،وتوجد بلدتان بذات المركز تحمل ذات الاسم إحداهما سلامون بحري وهي القرية

الأصلية، وسلامون قبلي والتي كانت تعرف بفيل وتقع جنوب سلامون بحري(القاموس الجغرافي، غير أن الأستاذ الباحث محمد حماد يفند مقولة وجود سلامون واحدة حيث يتكرر الاسم في طما-سوهاج ويبدو حسب وجهة نظره أن رامزي صاحب القاموس الجغرافي اعتمد على خريطة الوطاوط القديمة التي لا تحمل غير اسم سلامون بحري فقط).

ثم أرسل سعدا السندي أحد مواليه مع طائفة من المجاهدين إلى سلامون..وبينها وبين سرسنا نحو ميلين، فنزل ونصب الخيام، وأرسل خطابا إلى كبيرها وكان اسمه مون، وإذا في الجواب ﴿من سعد السندي أحد موالي الإمام إلى مون كبير القرية، أما بعد...فإنا قدمنا عليكم من عند الإمام محمد شبل الذي شاع ذكره في الوجود، نريد منكم الإسلام فإن أطعتم فلكم الجنة، وإن أبيتم فالحرب بيننا...﴾
فلما قرأه سل سيفه، وقصد الرسول فولى هاربا، ورجع إلى الأمير سعد السندي، وأخبره بأنه أراد قتله، ولكن الله سلم، فقال له ﴿وسل مون سيفه؟!﴾ قال ﴿نعم...﴾ فمن ذلك سميت القرية بذلك الاسم(سلامون) ولكنها اشتهرت بكلمة واحدة بدلا من كلمتين(سل مون)، ولما تحقق الأمير سعد عدم إسلام مون، وأمر الجيش بالقدوم على القوم، فوجدهم متأهبين للقتال، فالتقى الجيشان بالقتال حتى أظلم الليل.
فلله در الأمير سعد السندي فقد قاتل قتالا شديدا إلى أن مضى النهار، وفي اليوم الثاني حضر جماعة من الجيش المستقر بقلعة ترس أرسلهم الإمام شبل تقوية لإخوانهم، وكان مون استنجد بطائفة من الملاعين الفارين من قلة ترس، فاجتمع الجيشان، وقاتل المسلمون قتالا شديدا، وثبت الله المسلمين، وخذل الكافرين، فما مضى نصف النهار، حتى قتل أكثر الكافرين، وركنوا إلى الفرار.
وبعد انقضاء الحرب وجدوا الأمير سعد السندي استشهد، فهالهم قتله لأنه كان من الأبطال، ثم واروا الشهداء في لحود، وأما الأمير سعد فبنوا عليه ضريحا مشيدا، وأحكموا بناءه. وحضر الإمام رضي الله عنه إلى تلك القرية، وأقام بها ثلاثة أيام على قبر سعد، ورجع بباقي الجيش لسرسنا.(ولكن هذا الضريح درس فيما يبدو حيث لايوجد له أثر"د.محمد عتمان")
<u>القلعتان وإرجاء</u>

وكان الملعون ترس بالقلعة الثانية، وبينها وبين منوف نحو أربعة أميال، وأما هذه القلعة التي نصب الإمام خيامهم بها فكانت لخواصه وأكابر دولته، فكتب الإمام جوابا إلى ترس هذا نصه، ﴿من محمد بن الفضل بن العباس إلى حزب الكفار؛ اعلموا أن الدين عند الله الإسلام، وغيره ضلال وبهتان، ومن يبتغ غير الإسلام دينا فهو من الخاسرين، فالسعيد من اتبعنا، والشقي من أعرض عنا، فإن أنتم آمنتم بالله ورسوله سلمتم من شرنا، وإن أبيتم فاستعدوا لحربنا، والله ينصر من يشاء، واعلموا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والسلام على من اتبع الهدى، وخشي عواقب الردى. ﴾

ثم أعطاه للأمير معاذ الأوسي، فلما وصل القلعة وجد خواصه، وأما ترس فكان في القلعة التي بمدينة منوف، فأعطاهم الجواب فقرأوه، وكتبوا على ظهره ﴿ليس لنا رأي حتى يحضر ترس.﴾

فلما حضر الرسول للإمام برد الجواب قال ﴿من تأنى أصاب...﴾

فتح البتانون (قرية قديمة اسمها القبطي Bathanon ومنه كان اسمها بالعربية البتانون، وإن كانت قد وردت في معجم البلدان لياقوت"البثنون"، رامزي: القاموس الجغرافي)

ثم إن الإمام طلب من فرج النوبي أحد مواليه أن يصحب الأمير إبراهيم الكندي أبوزعيزع، ويأخذ ألفا من المجاهدين، ويسيروا إلى قلعة نون الفتى وبين قلعته، وترس نحو أربعة أميال وتسمى الآن بالبتانون وكان حقها أن تسمى بالفتانون.

ولما وصلوا القلعة المذكورة نصبوا خيامهم، وجلسوا واشتغلوا بمصالحهم. ثم كتب الأمير إبراهيم للفتى نون، وأرسله فلما وصل للقلعة لم يجد بابا يدخل منه، فرجع للأمير إبراهيم وأخبره، وكان واضعا أقراصا من الخبز فوق النار فلما نضجت رفعها وجعلها في جانبه، وإذا بكلب اختطف واحدة وسار بسرعة، فاشتغل بغيرها، فاختطفها الكلب ثانيا، وصار مثل الريح، ثم إن الكلب اختطف ثالثة ومضى لحال سبيله. فسار الأمير إبراهيم خلفه حتى وصل إلى سرداب تحت الأرض فنظر الأمير إبراهيم فوجد باب القلعة، فعلم أن الله أرسل الكلب ليهديهم الطريق لباب القلعة، فإذا هي حصينة، وفيها من الجنود الكثير.

ثم رجع للجيش، وأخبرهم بالخبر الذي كان. ثم أخذ معه الأمير فرج، ومشى للقلعة، وإذا بحسام الدين أقبل عليهما، ومعهم جماعة من المجاهدين فسألهما عن الأحوال فأخبراه بالكيفية فقال لهما ﴿إن الإمام أرسل معه جوابا للفتى نون، فأخذه الأمير، وقرأه، وعلم مافيه، ثم طواه، وسار به إلى القلعة، وصحبه فرج وحسام الدين، فوجدوا الأبواب مغلقة، فدقوا على الأبواب فلم يجبهم أحد، وتمكنوا من الباب وعالجوه، وتقلعوا به فقلعوه من أصله وأرموه، ودخلوا القلعة فوجدوها خالية، وطلعوا على سطحها، فوجدوا الملعون سكرانا، وجنوده حوله، فأعطاه الأمير إبراهيم الجواب، فقرأه وتبسم ضاحكا، وتضأل عنده الأمير إبراهيم، وتضأل الملعون في عين الأمير إبراهيم ليقضي الله أمرا كان مفعولا، فقال له ﴿اعتدل واقرأ جواب سيدي...﴾ فنظر إليه الملعون بغضبة، فأراد أن يبطش به، فضربه الأمير بالسيف، فأطاح برأسه عن بدنه، فأحاطوا به الكفار من كل جانب، فقاتل فيهم وكذلك حسام الدين، قاتل قتالا شديدا، وسمع المجاهدون بالصياح فأقبلوا عليهم، وقاتلوهم حتى مضى النهار.

وأما الإمام رضي الله عنه، فإنه في اليوم الثاني من قتل الملعون أخبر الجيش بذلك، وقال ﴿ إني ذاهب إلى قلعة نون، فركب ومعه جمع من الجيش، فلما أقبلوا على القلعة وجدوا نار الحرب مشتعلة، فنزلوا الميدان، وقاتلوا حتى ولى النهار، وظهرت الهزيمة على الكافرين، وأيد الله المسلمين، وفي الصباح جنحوا للسلم، وألقوا السلاح، فعرض الإمام عليهم الإسلام، فأسلموا جميعا بعد أن قتل من قتل، وأسر من أسر، وتفقد الإمام القتلى فوجدهم كثيرين؛ لا

يحصى عددهم، فكل من رآه بعيدا عن أخيه ولو بعشر خطوات بنى عليه قبة، والذي يراه قريبا من أخيه أو من جماعة، جمعهم وبنى عليهم قبة، ووجد الأمير إبراهيم الكندي الذي قتل الفتى نون، واشتهر بأبي زعيزع قتيلا، وكذلك الأمير علي الأوسي الأنصاري، والأمير إسحاق الحجار صاحب الحيل والتذكار، والأمير جعفر الأنصاري والأمير تاج الدين الداري، والأمير سالم الهروي، والأمير سالم السلمي، والأمير عبدالمتعال الخزاعي، وبينه وبين الأمير علي الأنصاري ثلث ميل رضوان الله عليهم أجمعين.

ووجدوا عشرة في مكان واحد فبنى عليهم دائرة، واشتهرت بالعشرة، ووجدوا بجوار القلعة قتلى كثير، فجمعوهم وبنوا عليهم مسجدا، واشتهر بالعمري بجوار القلعة من جهة الغرب. ثم إن الإمام رضي الله عنه بعد فراغه من بناء البرازخ، وإصلاح شأنهم، وترتيب خدامهم، أخذ باقي المجاهدين، ورجع إلى قلعة ترس المسماه الآن بسرسنا، وحين أقام الجيش، أقبل عليه رجل من قرية كمشيش، وهي بينها وبين مدينة الفتى نون نحو فرسخ وقال 《يا إمام إن قلعة نون اجتمع فيها جنود كثير من الكفار، وارتدوا على أعقابهم، ويريدون الخروج على المسلمين، وطالبوا بثأر الملعون الفتى نون》 ، فلما سمع الإمام رضي الله عنه ذلك عسر عليه ذلك، وبادر بالسير للقلعة المذكورة، وتبعه جماعة من المجاهدين، فوجدوا الكفار متأهبين للقتال، فالتقى الجيشان، وصاح المسلمون بالتهليل، والتكبير، والصلاة، والسلام على البشير النذير، السراج المنير، ولازالت الحرب حتى ولى الكفار الأدبار، فدخل المسلمون وراءهم حتى وسط البلد، وكانوا قبل ذلك خارجين عنها بنحو ميلين، حتى ولى النهار، وفي الصباح أقبلت الكفار على الإمام صاغرين، كاشفين الرؤوس، واعترفوا بذنبهم، وتابوا إلى الله، ولاموا أنفسهم على ما فعلوا، فقبلهم الإمام، ودفع القتل عنهم، وأمر بموارة الشهداء، فوجدوا في المنفردين الأمير جعفر الأوسي، والأمير فاضل الشمهوري، والأمير نزكي حكيم، والأمير عبدالله الصحصاح، والأمير عبود الغفاري، وسيد الجميع الأمير علي الأوسي الأنصاري لأنه كان إماما مجتهدا، مشهورا بالشجاعة، ثم أن الإمام رضي الله عنه بعد أن فرغ من مصالح المدينة، جعل الأمير يوسف الجهني حاكما على المدينة، وترك معه ألفا من المجاهدين، وأمره أن يفعل في القرية برأية.

<u>فتح السكرية وبتبس</u> (قريتان قديمتان تابعتان لمركز تلا-منوفية، وقد ورد ذكرهما بقوانين الدواوين لابن مماتي"رمزي: القاموس الجغرافي")

ثم إن الإمام أخذ المجاهدين وسار إلى مدينة ترس، فوجده بالقلعة الثانية، فذهب إليه فمر على معمل السكر للفتى نون، فوجدهم خمسة آلاف نفر، فعرض عليهم الإسلام فقالوا 《حتى يسلم أهل الدبس!》 (وهذه قرية تسمى الآن بتبس)، وكانوا أيضا خمسة آلاف وكلهم مشركون، وأهل الدبس كانوا من أتباع الملك لوها بن شوها الملعونة، المتقدم ذكرها، فقال لهم 《إن لم تسلموا قتلناكم...》 ، فأسلم أهل السكرعن آخرهم وسميت "السُّكَّرِيَّة".

وتوجه إلى الدبس، فوجد عندهم كلبا لانظير له في كلاب الدنيا، وهو مثل الحمار في الجسم، فعجب الإمام من خلقته، فعرض عليهم الإسلام، فلما علموا بإسلام السكرية، وماحصل بالفتى نون، أسلموا جميعا، واشتهرت هذه القرية بالدبس، لأنهم كانوا يصنعون الدبس، وبقعة السكر بالسكرية، وهما الآن قريتان معروفتان ب(بتبس والسكرية).

<u>كلب لوها مع سبع الفتى نون،</u>

<u>فتح سماليج</u>(من القرى القديمة تابعة لمركز تلا-منوفية)

وكان السبب في قتل سبع الفتى نون أنه ذهب ذات يوم إلى قلعة لوها لأمر، فرأى عند لوها كلبا عجيب الخلقة، لا نظير له في كلاب الدنيا، وظن أنه فيل، فقال ﴿ماهذا الحيوان؟!﴾ فقال ﴿كلب أحضرته والدتي شوها، حين كانت سائحة﴾ فقال ﴿أهذا الكلب يقاوم سبعنا؟﴾ وكان سبعه كبير فقال له ﴿كلبنا يقاوم سبعكم...!﴾ فأطلقا الكلب والسبع على بعضهما، فتغالبا، وتباعدا عن الأعين، فتبعوهما فوجدوهما يتصادمان، إلى أن برك السبع، وهلك، فرجعوا، وأخبروا لوها، بأن كلبه غلب السبع، ففرح وأعطاهم هدية، وافتخر على نون وسميت هذه القرية بركة السبع إلى وقتنا هذا، وبينها وبين قلعة لوها نحو ستة أميال، فذهب لوها ونون بركة السبع، فوجدوا السبع بارك، وجلده متمزق، ومفاصله منكسرة، والدم يسيل من جسده فعجبوا من ذلك، ثم إن الإمام سألهم عن حقيقة شوها التي أحضرت الكلب، فقالوا ﴿ إنها ساحرة ماكرة، ولها حيل لا توصف، منها أنها سافرت إليك وأنت في مصر في قتال الملك حردوب، وعملت نفسها في صفة عابد، وأكرمتموها غاية الإكرام، وأخذتكم إلى مطروحين، وحصل ماحصل...﴾ ، فلما سمع الإمام ذلك اغتاظ غيظا شديدا، ثم أرسل إلى الأمير عمر الخزرجي بأن يحضر ومعه جماعة من المجاهدين، والموعد قلعة لوها، وبينما هو كذلك إذا بمسلم أتى وقال ﴿يا إمام إن بهذه البقعة كنيسة بينها وبين السكرية نحو ميل، وفيها أكثر من خمسمائة راهب، وعندهم كفار لا يحصون...﴾ فقال ﴿ إن شاء الله لما نرجع من قلعة لوها، ننظر في شأنها...﴾ فقال ذلك الرجل ﴿إن لوها اتفق مع المسيح على قتالكم، و مجتمعون الآن في السما...﴾ فقال الإمام ﴿ وكيف وصولهم للسما؟!﴾ وظن الإمام أنهما في السماء المعروفة، فقال بعضهم ﴿إنها السماليج يا إمام، وليست السماء الدنيا، وذلك أنه بنى بناء مرتفعا، وبنى فوقه مكانا محكما، وسماه السماء، واشتهر بسماليج فسميت البلدة بذلك الاسم.﴾

وأما عشيرته وجنده فإنهم مقيمون بقلعتة، وبينها وبين سمائه نحو فرسخ واحد، ومنها مآواه الخاص به، فلا يرده أحد إلا داوبه، وماشيته، وسمي ماليج، وله مكان آخر متسع، وفيه أمتعة كثيرة، وقلعته أكبر من هذه، ولم يسكنها وبينها وبين سمائه نحو سبعة فراسخ، ولم يستطع النظر إليها لأنه مرض فيها، وأشرف على الهلاك، فهو يبغض هذه الجهة، وسال دمه فيها، فسميت هذه القلعة بالدم، الذي أصابه، فهم يقولون دماليج، وكان هذا الملك جبارا، عنيدا، وجيشه يزيد عن جيش ترس، فعجب الإمام من نسبته البناء بالسماء، فسار الإمام، وأخذ معه قوم من السكرية، ليريه سماليج، وقلعتها، وهذا ما كان من أمر الإمام رضي الله عنه.

وأما عمر الخزرجي فإنه لما وصل إليه جواب الامام، قام، وسار إلى القلعة لوها، فلما وصل لها هو والجيش، وجدها خالية، وليس فيها أحد، فنصبوا الخيام بجوار البلد بنحو ميل، وأرسل إلى الإمام في السكرية، فأخبروه أن توجه إلى سماليج، فتوجه الرسول إليه، وكان بينها وبين سماليج نحو ميل، فلما وصل لها وجد الكفار مقيمين بتلك البقعة، والحرب قائمة، ورأى الإمام غائلا فيهم، فلما عاين الرسول ذلك رجع للأمير عمر الخزرجي، وأخبره.

فما مضى نصف النهار، إلا والعساكر أحاطت بالكافرين من كل جانب.

واشتغل عمر الخزرجي بجنوده شغلا عجيبا، وقاتلوا قتالا صعيبا إلى أن ولى النهار، ورجع كل منهم إلى ناحيته، ولما أصبح الصباح برز الأمير عمر الخزرجي، فبرز له فارس من الكفار، فقتله الأمير، فبرز ثان وثالث وهكذا...حتى قتل أكثر من عشرين فارسا، فصاح لوها على قومه بالجملة، فحملت الرجال على الرجال، وعظم النزال إلى أن أتى الليل، وافترقوا، ولما أصبح الصباح، وقال الإمام للأمير عمر الخزرجي ﴿احمل على الملاعين جملة واحدة والله ناصرك... ﴾ فحمل المسلمون على الكافرين، وأوقع.وا فيهم القتال، فولوا منهزمين، وقصدوا قلعة الملعون لوها، فتبعوهم وضربوا أعناقهم، حتى وصلوا تلك القلعة، وبينها وبين سماليج نحو ثلاثة أميال، لتفقد عمر الخزرجي عساكره، فرأى الملعونة شوها في وسطهم، وهي في زي فارس، ومتهيأه للقتال، وكان الأمير يعرفها من وقوعها له في مصر، فقبض عليها، فلما أيقنت أنها وقعت، قالت:

﴿أنا في جوارك ياخزرجي، فإني مؤمنة بالله، ورسوله...﴾ ، فلم يسمع منها، و أوثقوها كتافا بالحبال والحديد، ورموها في مكان، ورجعوا للقتال، وتبعه إخوانه المسلمون، فما مضى النهار حتى هزم الله الكفار، وجنحوا للسلم، وطابت قلعة لوها، وأسلموا جميعا فلما وصل خبر لوها الملعون ليج، وأن لوها قتل، وطابت قلعته، اغتم، وكاد أن يقتل نفسه، وانتقل لقلعته التي فيها ماؤه، ودوابه، ثم إن الأمير عمر الخزرجي أقبل على الإمام رضي الله عنه، وقال ﴿يا أمير الجيش، ما رأيك في العابد الزاهد الذي كان عندنا ونحن بمصر؟...﴾ فقال الإمام ﴿لقد زهق الباطل، وإنها ساحرة، وخداعها لا يطاق...﴾ فقال الأمير عمر ﴿وإذ رأيتها ماذا تفعل بها؟ ﴾ قال الإمام ﴿إن أسلمت قلبا واعتقادا، عصمت نفسها ومالها، وإن أبت قتلناها...﴾ فقال الأمير ﴿هاهي أسيرة، ومكتفة بالحديد...﴾ فقال الإمام ﴿إلى بها...﴾ ، فأحضروها، فقال الإمام ﴿ما حملك على فعلك الذي فعلتيه أيتها الساحرة الماكرة؟﴾ فقالت ﴿ نصرة الدين الصحيح﴾ ، فقال ﴿وما الدين الصحيح؟﴾ فقالت ﴿دين المسيح...﴾ فأمر الإمام بقتلها شر قتلة.

<u>فتح ميت فارس</u>

ثم تذكر الإمام الكنيسة التي وصفها له الرجل الذي حضر عنده في معمل السكر، فأرسل إليها مائة فارس، فإذا ببقعة فيها أشجار، وأنهار مليحة المنظر فأقاموا فيها، وبينها وبين الكنيسة نحو ميل، فأرسل الأمير جوابا للرهبان، وخيرهم بين الإسلام والقتال، وكانوا نحو خمسة آلاف،

وبلغهم أن المجاهدين مائة فارس، فاحتقروهم واختاروا القتال، فوقع القتال بينهم، فما مضى ذلك اليوم حتى قتلوا من في الكنسية، والذين استشهدوا خمسة أشخاص من المسلمين، وجرح مثلهم، فصارت هذه الواقعة بمئة فارس، وسميت هذه البلاد بميت فارس، وأما البقعة التي اختارها الأمير موسى، وأقام بها فسميت ميت موسى، وهما قريتان قريبتان من بعضهما، ثم إن الأمير موسى وارى الشهداء، وأخذ الجرحى، وسار بهم إلى محل أقامه الجيش بقلعة ترس المشهورة بسرسنا.

فتح دلجمون. (قرية قديمة تتبع حاليا مركز كفر الزيات-محافظة الغربية)

ثم إن الإمام أمر الأمير عمر الخزرجي إلى قلعة دلجمون، وكان جبارا، وله جنود كثيرة، ومعه ألف مقاتل، فلما وصلوا إلى قربها، نزلوا، ونصبوا خيامهم، وكتب جوابا إلى دلجمون، يخيره إما الإسلام وإما القتال. وأرسل به رسولا، فوجده بقلعته، وحوله كفار كثير، فأعطاه الجواب، فقرأه ثم قال للرسول ﴿ارجع لسيدك، وقل له يستعد للحرب بعد ثلاثة أيام﴾ ، وأخبر الأمير بذلك، فقال، ﴿معي رأي فيه المصلحة، وفيه هلاك الأعداء﴾ ، فقالوا له ﴿مرنا بما تريد﴾ ، فقال ﴿إن الكفار وعدوا بالحرب بعد ثلاثة أيام، وهو خداع، ومرادهم يدهمونا على بغتة، والرأي أن نبطش بهم...﴾ فقالوا ﴿افعل ما تريد...﴾ فقال ﴿أصلحوا شأنكم في هذه الليلة، وفي السحر ادخلوا عليهم، وميلوا عليهم ميلة واحدة، واثبتوا، واذكروا مولاكم﴾ ، فتجهزوا، وفي آخر الليل هجموا على الكفار، والأمير عمر في أولهم، وهو كأنه البرج المشيد، وأوقعوا فيهم الضرب، وأعلنوا بالتهليل، والتكبير، والصلاة على البشير النذير، واشتدت الحرب وما زالوا كذلك حتى ولى النهار بالزوال، فانفصلوا، وقتل من الكفار شئ كثير، وفي الصباح رتب الملعون دلجمون جيشه، وأول من برز للميدان ابن عمه، وقال ﴿لايبرز لي إلا مقدم الجيش عمر ...﴾ فبرز له الأمير عمر، ثم إن صمصام ضرب الأمير عمر ضربة جاءت خائبة، فعاجله الأمير عمر بضربة فقتله، ووقع على الأرض، فعند ذلك هجم الفريقان، وزاد الكرب، ثم جاء أخو صمصام، وقال ﴿بالثأر صمصام...أين عمر الخزرجي الذي قتل أخي، لابد من قتله، فانقض عليه الأمير، وضربه بالرمح، فنفذ من صدره، فقتل، وأمر دلجمون بالحملة، ونزل أمامهم، وصار يقتل، وأما الأمير عمر فأنه لما رأى دلجمون فعل هذا الفعل، صار يوطن المسلمين على القتال، ويقول ﴿يا قومنا، قووا أنفسكم، وأحسنوا نيتكم، وميلوا عليهم بكليتكم، فإنكم المنصورون، وهم المغلوبون...﴾ ثم صاح في وسط الكفار، وأعلن بذكر الواحد القهار، والمسلمون تابعونه، ويقاتلون إلى وقت الزوال فزلت أقدام الكفار، وركنوا للفرار، وعزموا على السلم، وولوا الأدبار، وصاروا منهزمين، فرجع المسلمون إلى خيامهم، وأمر الأمير عمر بموارة الشهداء، وبنوا عليهم دائرة ثم جلس الأمير على الدائرة، وقرأ القرآن، وأهدى ثوابه للشهداء، كما يفعل الإمام رضي الله، وبينما الأمير عمر مشتغل بقراءة القرآن ليلا، إذا بالملعون دلجمون يتزيا بزي المسلمين، وضرب الأمير عمر بالسيف، فقتله ولحقت روحه بالجنة، وأحس المسلمون به، فقبضوا عليه، وأوثقوه كتافا بالسلاسل، وعذبوه عذابا شديدا، ثم ركب المسلمون

خيولهم، ودخلوا القلعة، وقتلوا جميع من فيها، ورجعوا للملعون، وخيروه بين أن يسلم، أو يقتل، فاختار القتل، فقتلوه شر قتلة، وخرجت روحه إلى جهنم وبئس القرار.
ثم إن المسلمين بنوا عليه مسجدا، وضريحا للأمير عمر، وشيدوه، وجعلوا له خدمة، وعلى قبة الأمير من التجليات الإلهية ما يليق بذلك الأمير، ثم إن باقي المجاهدين أقاموا بتلك القلعة أياما.

معركة سرسنا الأخيرة.

ورجعوا لقلعة ترس التي بها الجيش، فرأوا جيوشا للكفار مجتمعة في الصحراء، وكان الإمام رضي الله عنه أخذ هذه القرية بدون قتال مرتجيا إسلامهم، فلما رأى هذه الجيوش، أمر بترتيب المجاهدين، وطلبوا البراز، فبرز الأمير معاذ الأوسي، وكان فارسا، وصار ينادي يا عبدة الأصنام ابرزوا للحرب فبرز إليه فارس فقتله معاذا، وكان قريبا للملك ترس، وكان اسمه الماحق، فبرز أخوه وكان اسمه جمرة، وكان أشجع من أخيه، فضرب الأمير معاذ ضربة جاءت خائبة، فضربه الأمير معاذ ضربة فقتلته، ولازال يقتل حتى قتل نحو العشرين، ثم حمل على الميمنة، فقلبها ميسرة، وعلى الميسرة فقلبها ميمنة. وقتل منها ثلاثا، وأخذ فارسا من القلب، وذهب به إلى جهته، فلما وصل إلى الإمام، دعا له بالنصر، وقال 《أرح نفسك، بارك الله فيك 》، ثم برز بعده الأمير قايد الخزرجي المشهور بقيده،(يقع ضريحه على طرف قرافة سرسنا الأثرية القديمة، و أهمل إهمالا شديدا، حتى صار مجمعا للقمامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وكان له مولد شاهدت ضخامته في أوائل الثمانينات من القرن العشرين، إلا وأنه بعد انتشار دين الوهابية النواصب أهمل، وأهملت كل أضرحة جنود جيش سيدي شبل بشتى نواحي سرسنا، والشهداء، وميت شهالة، عدا ما يحيط بمسجد سيدي شبل من وزرائه، والأربعين شهيد.

ونناشد المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وأكابر رجال التصوف من ذوي المكانة بالدولة، ووزارة الأوقاف، وهيئة الآثار أن يرفعوا يد الإهمال والتخريب المقصود لحرمتهم كمسلمين أولا، ثم لكونهم مجاهدين سالت دمائهم من أجل دين الله، ولله المشتكى أولا وأخيرا...ونخص بالذكر مقامات وأضرحة سيدي حميد، وسيدي العزب أبو نوح، وسيدي عبد الله بميت شهالة(والذي تحول لسندرة كراكيب مسجده)، وسيدي قيدة وسيدي خضر وسيدي إدريس بسرسنا وغيرهم الكثير "المحرر").
فصال وجال، وقال شعرا...

أنا قايد جيش الأمير محمد
شبل الأسود وقامع المعتدي
أصول على الأعداء أفرق جمعهم
وأبيدهم بمثقل ومحدد
وأكر يوم الحرب كرة باهر
وأفني جميع جيوشهم بمهندي

يا نفس ليس عن المنية مهرب
لاتهربي، ولا تجزعي، لا ترقدي
لابد من كأس المنية تشربي
وظل الموت حقا لم يزل بالمرصد
كيف التخلف عن مجاهدة العدى
حاشا وخير الخلق طه سيدي
فهو الشفيع لنا ومنقذنا غد
من هول يوم يخذل كل معاند
ويفوز بالحور الحسان ذوي التقى
ولهم في جنة المأوى عيش أرغد...

ثم صال، وجال، وطلب البراز، فبرز له فارس من الكفار، فقتله فثان، وثالث...إلى أن قتل نحو العشرين من الشجعان المعدودين، وطلب البراز، فلم يبرز له أحد، فجال، وجال، وقلب الميامن مياسر، والمياسر ميامن، ومال إلى القلب، فقتل ستة، وأسر اثنين، وذهب بهما إلى الإمام، فشكره، وقبله بين عينيه، ودعا له.

ثم برز بعده الأمير خضر(جامعه بشمال سرسنا يلي جامع الإمام سيدي شبل، ومقامه مغلق مهمل، موصد بعشرات الأقفال..."المحقق") وجال، وصال بين الصفوف، فقتل نحو العشرين، وأخذ أسيرا من أعيانهم، وذهب به نحو الإمام، وأخبره أن الأعداء، هزموا، وعلى الفرار عزموا.

فسكن غيظ المسلمين، واطمأنوا، واشتغلوا بمصالحهم، وإذا بالكفار أحاطوا بهم من كل جانب، وعملت السيوف، ولم يزل الضرب إلى أن ولى النهار، فافترقوا من بعضهم، وقد قتل من المسلمين نحو المائتين، ومن الكفار نحو ألفين، أو أكثر، وقتل من أكابر المسلمين أربعة وهم الأمير خضر، والأمير علي الخزرجي، والأمير عبدالله الخضري، والأمير يوسف رضوان الله عليهم.

وفي اليوم الثاني أمر الإمام رؤساء الجيش أن يجمعوا نحو عشرة آلاف فارس، ويميلوا على الكفار على غفلة، ففعلوا، وأوقعوا الحرب فيهم، فقتل ما لا يحصى، وهزمت جيوشهم، وانكسرت أعلامهم، فغلبوا، وانقلبوا صاغرين، وقالوا ﴿ آمنا برب العالمين...﴾ .

واستشهد في هذه الواقعة الأمير معاذ الأوسي، والأمير قايد الخزرجي، (الشهير بسيدي قيده، المحقق)، والأمير فارس، وبنوا على كل واحد منهم قبة عالية، وصارت مقاماتهم مشهورة للآن.،(زمن المؤلف رضي الله عنه كان ١٨٧٥، وإلا فقد محقتهم في زماننا يد الإهمال المتعمد ولله المشتكى"المحرر")،.

ثم أن ترسا كبير الكفار أرسل إلى الملعون ليج، صاحب السماء المتقدم ذكرها، وطلب منه حضور جميع الجنود التي في قبضته، فما مضى يومان حتى حضروا، ونصبوا، خيامهم، وانقلبوا على أعقابهم، ونكثوا عهدهم بعد إيمانهم، فصار الكفار أكثر مما كانوا.

فأمر الإمام بعض الجيش أن يحمل عليهم بغير وعد، ولا مهلة، فدهموهم على غفلة، ودار بينهم القتال، فلا يعرف الأخ أخاه، ولا الوالد أباه.
وأما الإمام فقصد الرؤساء وهو في وسطهم كالأسد الوثاب، ولازال يقتل حتى قصد الملعون ترس بضربة هاشمية، فقتله، وعجل الله بروحه إلى جهنم وبئس القرار.

إصابة الإمام رضي الله عنه

فقصده أحد الملاعين، وضرب الإمام بالسيف على وركه، فقطعه، ورجع إلى قومه، وقال 《 قتلت سيد القوم، فما تقولون في شجاعتي...؟!》 ، فسمعه الأمير حسام الدين، أحد الرؤساء، فضربه بالسيف، فأطاح برأسه عن بدنه، ثم إن الإمام صاح على أخته الرضا، وأمرها أن تمسك بقية فخذه، وتسير بجانب الجواد، ففعلت، ولازال يقاتل حتى ظفر بالملعون ليج، وضربه بالسيف، فأطاح برأسه، فغافله أخوه بهواش الملعون، وكان الإمام تعب من القتال، وقد اشتد عليه الجرح، وكب به الجواد، فضربه على عاتقه، وباقي الجيش، منشغل بالقتال، ومازالوا كذلك حتى هزموا جيش الكفار، حتى ولوا مدبرين، فتبعهم الجيش، ومكنوا منهم السيف.

فتح طوخ النصارى(هي طوخ دلكة التابعة لتلا-منوفية)

حتى وصلوا قرية طوخ النصارى، وقاتلوا قتالا شديدا، واستشهد فيها الفاضل الشيخ الأصبحي، وجماعة من المجاهدين، ودفنوا بالفورية، وأما الشيخ خالد فدفن وحده في مكان بعيد عنهم، وبنوا عليه مقاما مشهورا وللآن عليه الهيبة والاحترام.

فتح زرقان (قرية قديمة تابعة لمركز تلا-منوفية)

ثم مازالت الحرب سائرة إلى أن دخلوا قرية زرقان، واستشهد الأمير نصير العبد أحد رؤساء عبيد الإمام رضي الله عنه بالجانب الغربي، وبنوا له مقاما عظيما، وبجانبه مسجدا، ومقامه يزار للآن. (مازال مسجده و ضريحه عامرا، يحتفل بمولده احتفالا كبيرا، ببركة أهل زرقان الطيبين"المحقق").

فتح كمشيش

ثم توجه الجيش لقرية كمشيش، فوجدوا أهلها انقلبوا على أعقابهم، فقاتلوهم حتى آمنوا، و أظهروا إسلامهم، وقتلوا منهم كفارا كثير، وقتل من المجاهدين الأمير حسام الدين أحد الرؤساء الذي أخذ بثأر الإمام محمد شبل الأسود رضي الله عنه، وقتل بعض الرجال، ودفنوا بالقرية المذكورة، بالجهة القبلية، وجعلت عليهم إشارة، وأما هو فدفن في محل استشهاده، وبنوا له مقاما مرتفعا، ومشهورا لوقتنا هذا في الجهة الغربية، ثم إن الجيش رجع إلى قرية سرسنا، فوجدوا الإمام نقل من دار البوار إلى دار القرار.

***

نبذة تتعلق بالإمام محمد شبل بعد وفاته.

اعلم أنه بعد استشهاده ،رضي الله عنه، اجتمع المجاهدون، وبنوا له ضريحا عظيما، وبنوا بجانبه مسجدا، وفي أثناء البناء مات أخواته الإناث، رضي الله عنهن، فبنوا لهن فسقية بجوار

الإمام من الجهة الشرقية، وباقي الشهداء الذين قتلوا في تلك الواقعة بنوا عليهم أضرحة، رضوان الله عليهم.

<u>تاريخ الاستشهاد.</u>

كان استشهاد سيدي محمد شبل بعد عصر يوم الجمعة، ثاني عشر ربيع الأول، سنة أربعين من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل السلام، وأزكى التحية. وهو العام الذي قتل فيه الإمام على ابن أبي طالب، كرم الله وجهه، غيلة في أرض الكوفة.

وكان سن سيدي محمد شبل يوافق عند استشهاده ثلاثين سنة، ونصف سنة، وثمانية أيام، لأن مولده رضي الله عنه في يوم الرابع من شهر رمضان المعظم، سنة تسع من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

<u>نبذة تتعلق بسيدنا الفضل بعد وفاة ولده رضي الله عنهما.</u>

اعلم أن الإمام سيدي محمد شبل حين أخذ بخاطر والده سيدنا الفضل رضي الله عنه، وقت الجيش من المدينة إلى الديار المصرية، عاهده أن يقعد في مكان معلوم بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ومنبره، يستحضر بقلبه صورة الإمام شبل قبل طلوع الشمس، فيسمع سلام ولده فيرد عليه السلام، واستمر على هذه الحالة، واطمأن قلبه، فلما قضى الأجل، واستشهد الإمام سيدي محمد شبل الأسود، جلس الفضل على عادته، فلم يسمع سلاما، فزاد مكثه عن العادة، فقام، رضي الله عنه، إلى الروضة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فبينما هو مشتغل بالسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، وإذا بخطاب من داخل الروضة الشريفة 《 عوضت خيرا يا ولد العم في استشهاد من نارت بطلعته الديار المصرية، فوالذي نفسي بيده، إن أرواح جميع أصحابي حزنت عليه، وجميع أهل بيتي...》

فلما سمع الفضل هذا الخطاب أغمى عليه، وسقط من قيام، فلما أفاق صرخ صرخة عظيمة، وقال 《يا أهل الحرم صلوا على ولدي الإمام محمد شبل الأسود، فبكوا بكاء شديدا، فما مضت برهة حتى امتلأ الحرم بالناس، فصلوا عليه، وأخذوا بخاطره، ولما انصرف الناس من التعزية، وبقى الفضل في المسجد ومعه بعض رجال أخذه الحال، وأنشد...

صلى ربي على كريم الأيادي
مع سلام ورحمة ومدادي
فهو شبل الأسود والليث حقا
في نهار الوغى قتل الأعادي
نعم قطر حوى محمد شبل
فهو قطر قد عم كل البلاد
جدد الدين والشريعة حقا
من في الحمى بآيات الرشاد

يا إماما به الفصاحة تزهو
وعليه إصلاح كل فساد
ناركم في الحشا هامت وماجت
روعت جثتي، وذاب فؤادي
وأنرت الصدور بالعلم حقا
بعد ظلم القلوب والأكباد
فعليك الرضا من الله دوما
عدد الرمال مع صلاة الأعياد
وعليك من المشوق سلاما
عدد ما في السما من الأوتاد...

فلما فرغ من شعره صار كل من في الحرم يسليه، ويصبره، ويغبطونه على ما أنعم الله عليه، ويقولون 《 يحق لك أن تسلم لله حيث جعل من ظهرك، من يظهر الإسلام، ويخفي الكفرة اللئام 》 ، فأنزل الله عليه الصبر.

وأما والدته مأمونة بينما هي جالسة إذ سمعت صوتا يقول 《عوضك الله خيرا يا مأمونة في ولدك الإمام محمد شبل، فوالله إن كل شئ خلقه الله مما يعقل، ومما لايعقل حزن عليه، وهذا الاحمرار الذي في السماء من أجله، فنظرت نحو السماء، فرأت فيها احمرارا، فقالت 《اللهم إن كان ولدي قتل في سبيلك، فأمطر السماء مطر الحزن، حتى يطمأن قلبي، فأمطر الله السماء ماء، أحمر مثل الدم فسارت، مسرعة نحو زوجها الفضل، وهي في غير حالة الصحو، فقال لها 《مالي أرى حالك مهول، ومعك سيول...》

فلم تملك نفسها، أن تجاوبه، فقال لها 《 نحمد الله الذي جعل من ذريتنا من غار على الإسلام، وجاهد في سبيل الله حق جهاده...》

فأخذها الحال، وقالت شعرا...

يعز على المشتاق (لوعة) الوجد
ونيرانه بين الضلوع لها وقد
فإن ترحموني تسمحوا لي برؤية
ليبلغ قلبي من وصالكم القصدا
رعى الله أياما تقضت بقربكم
وحيا زمانا كنتمو فيه لي ردا
فأنتم أحبائي وقصدي وبغيتي
ونور لعيني لا أخون لكم عهد
ولي مدمع جاري وقلب متيم
ونار اشتياق لا تبيد ولا تهدا
حباك إلهي كل خير ونعمة

وفي جنة الفردوس قد أنجز الوعد...

وكان ذلك اليوم الذي سمعت فيه صوت الهاتف هو اليوم الذي استشهد فيه الإمام رضي الله عنه، وما تم الشهر الذي سمع فيه الفضل الهاتف الذي أخبر باستشهاد الإمام محمد شبل رضي الله عنه، حتى حضر عند والديه جماعة من المجاهدين الذين كانوا معه في الغزوة، وأخبروه بما صار في هذه الغزوة العظيمة، التي لم يسبق لأحد مثلها.
فنظمتها والدته في قصيدة، وحملتها رثاء لولدها الإمام محمد شبل رضي الله عنه، وذكرت فيها جميع ما صار من المجاهدين، وذكرت فيها المشهورين من الرؤساء الذين كانوا بصحبته، وابتدت مطلعها بالرثاء، وهذه هي القصيدة...

ياسعد عرج على من في الدجى سهرا
محمد شبل نسل السادة الأمرا
أهل البلاد أتوا طوعا لخدمته
كذا الأفاعي ووحش البر والقفرا
حملته تسعة ما حل بي ألم
ولا رأيت مشقات ولا ضرر
وضعته في ديار الأنس مبتهلا
ونوره ملأ الأكوان والقطرا
وكان ذلك نصف الليل في ظلم
وخر ساجدا للباري وقد نظر
وشاهدوه بنات الحور في حلل
مع الملائكة العالين مجتهدا
وفي عام فرد له الأشهاب ساقطة
كرامة للذي انشقت له الصخرا
وكم طوارق للأوطان قد وردوا
من أجل شبلكم كريم اليد منبترا
وبشر المصطفى الأصحاب في حرم
عن فضله حين بان النور واشتهرا
فقال ابن عمي جاءه ولد
للدين بالسيف في الأقطار وقد شهرا
وقد أتانا كتاب من قبائله
بحضرة الصحب أهل الهمة البدرا
هاجرت صحبته والشوق آخذني

إلى لقا من به وحي السماء سرى
وقد دخلنا على المختار أجمعنا
فقال شبل على الكفار قد نصرا
وضمه فرح عند القدوم له
وحط فيه على ما يشبه القمرا
وقال ذا حتما شبل الأسود بدا
بجسم المرتقى في الصحب مستطرا
فكل صحب حباه الهدى في حلل
وكل أنثى بمنديل وليس مرا
وقد أتى منزل الفاروق مع بطل
وأم الهنا من قدوم الليث في الحضرا
فصار أبو حفص مشغول ببهجته
ودمعه صار فوق الخد منهمرا
من أجله خوطب المختار معتجلا
قطب الوجود به الولدان قد حضرا
أقريك من ربك الإكرام مأتمنا
مره يسير إلى(...) قد حضرا
أتى الحسين إلى الفاروق في حزن
وناره في الحشا ترمي له شررا
ومسه سرعة باليد مختطفا
إلى أخيه الحسن من أجل ذا نهرا
ومذ رآه رسول الله مع حسن
ناداه أرحل إلى الأوطان مبتكرا
من أجلك اشتغل الفاروق يا ابن أخي
وقد رحلنا به بعد الخطاب إلى
نحو الديار سويا مثل ما أمرا
و مقبل ولد النعمان جاء له
بخالص القلب يرجو الفوز في الأخرى
وصلى وقت ذاك اليوم خادمه
لنصرة الدين حتى بان واشتهرا
نلت العلا يا ابن عم المصطفى كرما
بنجلك المرتقى بالفضل قد بهرا
قد باع في طاعة الرحمن مهجته

له الولا في جميع البر والقفرا
فقد سعى بجبوش لا عداد لها
بإذن رب كريم دينه نصرا
وصار في البر والوديان منتشرا
لأرض مصر وأطفى نارها سحرا
أقام بالسيف منهج الحق مبتهلا
سهل المقاصد أردى كل من كفرا
له كرامات لا يحصى لها عددا
وكم خوارق أبداها بغير مرا
تالله ما أرضاه من بطل
يسعي لنصرة دين الله فانتصرا
قاسى الشدائد فيما كان قاصده
في طاعة الله حتى صار واشتهرا
بمصر قاهرة الأعداء كان بها
استشهاد مقبل فخر الجيش والوزرا
له من الله جنات مزخرفة
وزاده الفضل والإحسان والنظرا
هو ابن نعمان من عمت مناقبه
لدى العباد وعم البر والبحرا
فياله قهر الأعداء بصولته
بعزم سر لم يبق لهم أثرا
فعشرة وزرا شبل الأسود وقد
كان بن نعمان مقبل سيد العشرا
وزمزم ورضاء ثم عاتكة
هند وفاطمة مأمونة الآخرا
مجدات باعيان الوجود بدت
أنوارهن جليات لمن نظرا
يا خزرجي لك الفردوس قد جليت
بحور عين تحاكي الشمس والقمرا
وقائد الجيش فيهم كذا فرج
ويوسف وجمال الدين منبهرا
لك السلام حسام الدين مؤتبدا
وراشد في الوغى للسيف قد شهرا

نال العلا على الأنصاري من قدم
ويا معاذ لك الفردوس في الآخرا
لك السعادة ياسعد السعود ويا
نصير لازلت في الجنات مفتخرا
زعيزع الكندي إبراهيم مجتهدا
له الشجاعة وصف ليس منتكرا
وخالد ثم إسحاق الحجار كذا
محمد عبدالخالق مع عمرا
بسرسنا كان يوما الأمثال أتوا
لنحوها بالسيوف المرهفات سرا
وطيبوا البلاد من الكفار واجتهدوا
في نصرة الدين إرغاما ما لمن كفرا
ياسيدا عمت الأمصار طلعته
نورا فعم الآفاق وانتشرا
قد صاح في جميع الأعداء جند لهم
جمعا بعزم وسر في الورى ظهرا
يا عين نوحي عليه واذرفي دما
ودمعا على الوجنات منحدرا
ياسرسنا لك عندي منزلة
مني عليك سلاما أينما ذكرا
نلتي فخارا وتعظيما ومكرمة
بشبل فضل ومن معه من الأمرا
فياله كعبة اللاجئين ما قصدوا
به الرجا تبدل عسرهم يسرا
وكنت أحسب أن الدهر يسعدني
فخانني وبلاني باللظى جهرا
عوضت يافضل خيرا في مصيبتك
العظمى من الله من للناس قد نظرا
يوم معركة كان الموت حاضرة
فأظلم الكون والأقطار والغبرا
يانازلين ضريح الأنس فاغتنموا
نيل المسرة والغفران مجتهرا
لك السعادة إن زرت الحما كرما

بغفر كل ذنوب أثقلت ظهرا
روضاتكم ببهاء نور ساطعة
كالشمس تشرق في الآفاق والصحرا
فجوهر الحسن في معناه مبتهجا
شمس المعارف في الآفاق قد ظهرا
وصل ربي على المختار من مضر
محمد سيد الدنيا كذا الأخرى
وآله وكذا الأصحاب ما لمعت
شمس وما لمعت في الأنجم الزهرا
وما نشأت إلا لوجدي في محبتكم
ياسعد عرج على من في الدجى سهرا.

ولما نشأت السيدة مأمونة هذه القصيدة شهد لها الحاضرون بالمعرفة، و لازموا معها الأدب التام رضي الله عنها، وعنهم أجمعين.
<u>رزقة (أوقاف) الإمام سيدي محمد شبل الأسود رضي الله عنه.</u>

اعلم أن من فضل الله تعالى على الإمام سيدي محمد شبل رضي الله عنه، أن جعل له رزقة أطيان طويلة عريضة بين البقعة التي ضمت أعضائه الشريفة وبين بلدة كمشيش تسمى أبو الشخوري، وله رزقة أيضا ما بين سلامون وبين قرية المرج، وله حوض بأكمله رزقة تسمى بظهر الجمل بين قرية شمياطس وبين قرية ساحل الجوابر.
وقال أبي بن كعب 《إن مقام الإمام محمد شبل رضي الله عنه، رأيناه في دار السلام، واسعا يسيره المسافر في مسافة أربعين ألف عام، وقيل مائة ألف عام، حتى يسع أتباعه، وكل من يزوره، وكل من يتعاطي خدمته، إلى يوم القيامة...》 ، وفي بعض الأخبار 《أن الرجل الصالح يمر بالرجل من العصاة فيجده مساقا للنار فيقول 《من أي أمة أنت؟》 فيقول 《من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.》 فيقول 《 هل زرتني بعد الوفاة...؟!》 فيقول 《لا...》 فيقول 《هل كنت بذكري ترغب...؟》 فيقول 《نعم كنت أسمع أنك في محل كذا، وكنت أود أن أزورك لو استطعت...》 فيقول 《وحيث سمعت ذكري، ووددت أن تزورني، فأنت في شفاعتي...》 فيطلب من الله الشفاعة، فيشفعه الله فيه، ومهما بلغت درجة الأولياء، لا يكونون مثل الإمام سيدي محمد شبل الأسود، الذي أظهر دين مولاه، وجاهد في سبيل الله حق جهاده فاجتباه، ونصره على أعدائه الكافرين، وحباه فرضي الله عنه، وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه، ومثواه، ونطلب من الله أننا يوم القيامة نلقاه...آمين.

"تمت"

وكتبه مخطوطة الشيخ إسماعيل جاد الغزالي البتانوني الشافعي الأحمدي عام١٢٨٧ هجرية، الموافق العام ١٨٧٣ ميلادية.
ونسخها الشيخ عثمان محمود أبو جمالة الشافعي الأحمدي البنداري من ناحية شمياطس- الشهداء- منوفية، يوم الاثنين، التاسع من شعبان ١٣٧٣هجرية الموافق ١٩٥٤ ميلادية من مخطوطة علقام البحيرة.
وانتهى من تحريره، محمد فرحات بمولد سيدي شبل الأسود الجمعة ٤ صفر١٤٤١هجرية.
الموافق التاريخ الميلادي: الجمعة ٤ أكتوبر ٢٠١٩.
هاتف٠١٠٦٩٧٧٣٨٠٦